من كتب علم مقارنة الأديان

كتاب فى مَسْخ اليهودِ قردة

أصحاب السَّبت
فى
التوراة والإنجيل والقرآن

تأليف الدكتور الشيخ
أحمد حجازى السقا
من كلية أصول الدين - جامعة الأزهر

مكتبة الإيمان - المنصورة
ت/ ٢٢٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ * فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾

صدق الله العظيم

كمبيوتر وتصميم
السندس لخدمات الكمبيوتر
M.K.A.
ت: ٥٨٩٧٥٢٩ - ٠١٢/٢٥٩٢٤٦٧

مكتبة الإيمان
المنصورة - أمام جامعة الأزهر
ت: ٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بخير وإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

فإن الله تعالى حرم على بنى إسرائيل الأعمال المعتادة فى الزراعة والتجارة والصناعة وما شابه ذلك، فى يوم السبت. أما الأعمال الضرورية كعمل أدوية لشفاء مريض، أو إخراج خروف وقع فى حفرة. فإن هذه الأعمال الضرورية غير محرمة.

وبعض اليهود خالفوا هذا الحكم، واصطادوا سمكا فى يوم سبت وباعوه. وهذا من الأعمال المعتادة المحرم عملها فى يوم السبت. ولما اصطادوا وباعوا؛ مسخهم الله قردة. ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ * فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾

وقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾

وكان المسيح عيسى عليه السلام يشفى بعض المرضى فى يوم السبت. والشفاء عمل. ولذلك اغتاظ منه علماء اليهود، وقالوا: إنه كسر السبت. وقد رد المسيح عليهم بأن هذا عمل تقتضيه الضرورة وليس عملا معتادا.

ففى الأصحاح الثالث عشر من إنجيل لوقا:

«وكان يعلم فى أحد المجامع فى السبت. وإذا امرأة كان بها روح ضعف ثمانى عشرة سنة وكانت منحنية ولم تقدر أن تنتصب البتة. فلما رآها يسوع دعاها وقال لها: يا امرأة إنك محلولة من ضعفك. ووضع عليها يديه ففى الحال استقامت ومجدت الله. فأجاب رئيس المجمع وهو مغتاظ لأن يسوع أبرأ فى السبت وقال للجمع: هى ستة أيام ينبغى فيها العمل ففى هذه ائتوا واستشفوا وليس فى يوم السبت. فأجابه الرب وقال: يا مرائى ألا يحل كل واحد منكم فى السبت ثوره أو حماره من المذود ويمضى به ويسقيه؟ وهذه وهى ابنة إبراهيم قد ربطها الشيطان ثمانى عشرة سنة أما كان ينبغى أن تحل من هذا الرباط فى يوم السبت؟ وإذ قال هذا أخجل جميع الذين كانوا يعاندونه وفرح كل الجمع بجميع الأعمال المجيدة الكائنة منه»

وبعد ذلك ضرب أمثلة لمجى الأمة الإسلام فقال:

«فقال: ماذا يشبه ملكوت الله وبماذا أشبهه؟ يشبه حبة خردل أخذها إنسان وألقاها فى بستانه فنمت وصارت شجرة كبيرة وتآوت طيور السماء فى أغصانها.

وقال أيضًا بماذا أشبه ملكوت الله. يشبه خميرة أخذتها امرأة وخبأتها فى ثلاثة أكيال دقيق حتى اختمر الجميع.

واجتاز فى مدن وقرى يعلم ويسافر نحو أورشليم. فقال له واحد يا سيد أقليل هم الذين يخلصون. فقال لهم. اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق. فإنى أقول لكم إن كثيرين سيطلبون أن يدخلوا ولا يقدرون. من بعد ما يكون رب البيت قد قام وأغلق الباب وابتدأتم تقفون خارجًا وتقرعون الباب قائلين يا رب يا رب افتح لنا يجيب ويقول لكم لا أعرفكم من أين أنتم. حينئذ تبتدئون

تقولون أكلنا قدامك يجيب ويقول لكم لا أعرفكم من أين أنتم. حينئذ تبتدئون تقولون أكلنا قدامك وشربنا وعلمت فى شوارعنا. فيقول أقول لكم لا أعرفكم من أين أنتم. تباعدوا عنى يا جميع فاعلى الظلم. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان متى رأيتم إبرهيم وإسحق ويعقوب وجميع الأنبياء فى ملكوت الله وأنتم مطرحون خارجًا. ويأتون من المشارق ومن المغارب ومن الشمال والجنوب ويتكئون فى ملكوت الله. وهو ذا آخرون يكونون أولين وأولون يكونون آخرين» (لوقا١٣)

ثم أختلف اليهود والمسيحيون فى تقديس يوم السبت. فاليهود يقدسونه، والمسيحيون يقدسون الأحد، ولا يقدسون السبت.

والحق مع اليهود إلى ظهور محمد ﷺ فإنه نسخ حرمة السبت، وجعل يوم الجمعة بدله عن أمر الله تعالى.

ففى الوصايا العشر:

«ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلاً. أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية. لا يكن لك آلهة أخرى أمامى. لا تصنع لك تمثالاً منحوتًا ولا صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن. لأنى أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى. وأصنع إحسانًا إلى ألوف من محبى وحافظى وصاياى. لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً. لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلاً. **اذكر يوم السبت لتقدسه. ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك. وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك. لا تصنع عملاً ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذى داخل أبوابك. لأن فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها. واستراح فى اليوم السابع. لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه.** أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب إلهك. لا تقتل. لا تزن. لا تسرق. لا تشهد على قريبك شهادة زور. لا تشته بيت قريبك. لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئًا مما لقريبك» (الخروج ٢٠)

والمسيح عيسى عليه السلام لم ينقض الناموس أو الأنبياء، حتى يسوغ للمسيحيين أن لا يقدسوا السبت. فعدم تقديسهم يوم السبت؛ ضلال مبين ففى الأصحاح الثالث والعشرين من إنجيل متى:

«حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه. قائلاً: على كرسى موسى؛ جلس الكتبة والفرّيسيون. **فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه. ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون.** فإنهم يحزمون أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس وهم لا يريدون أن يحركوها بإصبعهم. وكل أعمالهم يعملونها لكى تنظرهم الناس. فيعرضون عصائبهم ويعظمون أهداب ثيابهم. ويحبون المتكأ الأول فى الولائم والمجالس الأولى فى المجامع. والتحيات فى الأسواق وأن يدعوهم الناس سيدى سيدى. **وأما أنتم فلا تُدعوا سيدى لأن معلمكم واحد المسيح** وأنتم جميعًا إخوة. ولا تدعوا لكم أبًا على الأرض لأن أباكم واحد الذى فى السموات. **ولا تُدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح.** وأكبركم يكون خادمًا لكم. فمن يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع.

لكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيّون المراؤون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل. ولعلّة تطيلون صلواتكم. لذلك تأخذون دينونة أعظم. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحدًا. ومتى حصل تصنعونه ابنًا لجهنم أكثر منكم مضاعفًا. ويل لكم أيها القادة العميان القائلون من حلف بالهيكل فليس بشىء. ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم. أيها الجهال والعميان أيما أعظم؟ الذهب أم الهيكل الذى يقدس الذهب؟ ومن حلف بالمذبح فليس بشىء. ولكن من حلف بالقربان الذى عليه يلتزم. أيها الجهال والعميان أيما أعظم القربان؟ أم المذبح الذى يقدس القربان؟ فإن من حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه. ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالساكن فيه. ومن حلف بالسماء فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليه... إلخ» (متى٢٣)

وقد جاء فى القرآن الكريم: أن المسيح عيسى عليه السلام مصدق لما بين يديه من التوراة، وأن محمدًا ﷺ مصدق لما بين يديه من التوراة، ومهيمن عليها. والمهيمن من حقه أن ينسخ أحكاما من أحكامها. وفى القرآن أنه نسخ السبت، وجعل الجمعة عوضا عنه. ذلك قوله تعالى:

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾

وقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

وسوف نذكر النصوص بعون الله. ونفسر ما يحتاج إلى تفسير. والله ولى التوفيق.

ميت طريف - دقهلية

د/ أحمد حجازى السقا

درجة الدكتوراه مـن كلية أصول الدين فى موضوع:
«البشارة بنبى الإسلام فى التوراة والإنجيل»

الفصل الأول

فى

نصوص من التوراة

عن حرمة يوم السبت والاعتداء فيه

النص الأول:

«فى تلك الأيام رأيت فى يهوذا قومًا يدوسون معاصر فى السبت ويأتون بحُزم ويحمّلون حميرًا. وأيضًا يدخلون أورشليم فى يوم السبت بخمر وعنب وتين وكل ما يحمل. فأشهدت عليهم يوم بيعهم الطعام. **والصوريون الساكنون بها كانوا يأتون بسمك وكل بضاعة ويبيعون فى السبت لبنى يهوذا وفى أورشليم.** فخاصمت عظماء يهوذا وقلت لهم: ما هذا الأمر القبيح الذى تعملونه وتدنسون يوم السبت؟ **ألم يفعل آباؤكم هكذا فجلب إلهنا علينا كل هذا الشر وعلى هذه المدينة وأنتم تزيدون غضبًا على إسرائيل إذ تدنسون السبت؟** وكان لما أظلمت أبواب أورشليم قبل السبت أنى أمرت بأن تغلق الأبواب وقلت أن لا يفتحوها إلى ما بعد السبت وأقمت من غلمانى على الأبواب حتى لا يدخل حمل فى يوم السبت. فبات التجار وبائعو كل بضاعة خارج أورشليم مرة واثنتين. فأشهدت عليهم وقلت لهم: لماذا أنتم بائتون بجانب السور. إن عدتم فإنى ألقى يدًا عليكم؟ **ومن ذلك الوقت لم يأتوا فى السبت.** وقلت للاويين أن يتطهروا ويأتوا ويحرسوا الأبواب لأجل تقديس يوم السبت. بهذا أيضًا اذكرني يا إلهى وتراءف علىّ حسب كثرة رحمتك» (نحميا ١٣)

النص الثانى:

«ولما كان بنو إسرائيل فى البرية وجدوا رجلاً يحتطب حطبًا فى يوم السبت. فقدمه الذين وجدوه يحتطب حطبًا إلى موسى وهرون وكل الجماعة. فوضعوه فى المحرس لأنه لم يعلن ماذا يفعل به. فقال الرب لموسى: قتلاً يقتل الرجل. يرجمه بحجارة كل الجماعة خارج المحلة. فأخرجه كل الجماعة إلى خارج المحلة ورجموه بحجارة فمات كما أمر الرب موسى» (العدد ١٥)

النص الثالث:

وهو فى معجزة لنبى الله اليسع عليه السلام. وفيها: «**لماذا تذهبين إليه اليوم؟ لا رأس شهر ولا سبت**».

«وصرخت إلى أليشع امرأة من نساء بنى الأنبياء قائلة إن عبدك زوجى قد مات وأنت تعلم أن عبدك كان يخاف الرب. فأتى المرابى ليأخذ ولدى له عبدين. فقال لها أليشع ماذا أصنع لك. أخبرينى ماذا لك فى البيت. فقالت ليس لجاريتك شىء فى البيت إلا دهنة زيت. فقال اذهبى استعيرى لنفسك أوعية من خارج من عند جميع جيرانك أوعية فارغة. لا تقللى. ثم ادخلى وأغلقى الباب على نفسك وعلى بنيك وصبى فى جميع هذه الأوعية وما امتلأ انقليه. فذهبت من عنده وأغلقت الباب على نفسها وعلى بنيها. فكانوا هم يقدمون لها الأوعية وهى تصب. ولما امتلأت الأوعية قالت لابنها قدم لى أيضًا وعاء. فقال لها لا يوجد بعد وعاء. فوقف الزيت. فأتت وأخبرت رجل الله فقال اذهبى بيعى الزيت وأوفى دينك وعيشى أنت وبنوك بما بقى.

وفى ذات يوم عبر أليشع إلى شونم. وكانت هناك امرأة عظيمة فأمسكته ليأكل خبزًا. وكان كلما عبر يميل إلى هناك ليأكل خبزًا. فقالت لرجلها قد علمت أنه رجل الله مقدس الذى يمر علينا دائمًا. فلنعمل عُلِّيَّةً على الحائط صغيرة ونضع له هناك سريرًا وخوانًا وكرسيًا ومنارة حتى إذا جاء إلينا يميل إليها. وفى ذات يوم جاء إلى هناك ومال إلى العلية واضطجع فيها. فقال:

لجحيزى غلامه ادع هذه الشونمية. فدعاها فوقفت أمامه. فقال له: قل لها هُوذا قد انزعجت بسببنا كل هذا الانزعاج. فماذا يصنع لك. هل لك ما يتكلم به إلى الملك أو إلى رئيس الجيش. فقالت إنما أنا ساكنة فى وسط شعبى. ثم قال فماذا يصنع لها؟ فقال جحيزى إنه ليس لها ابن ورجلها قد شاخ. فقال ادعها. فدعاها فوقفت فى الباب. فقال فى هذا الميعاد نحو زمان الحيوة تحتضنين ابنًا. فقالت لا يا سيدى رجل الله لا تكذب على جاريتك. فحبلت المرأة وولدت ابنًا فى ذلك الميعاد نحو زمان الحيوة كما قال لها أليشع. وكبر الولد. وفى ذات يوم خرج إلى أبيه إلى الحصادين. وقال لأبيه رأسى رأسى. فقال للغلام احمله إلى أمه. فحمله وأتى به إلى أمه فجلس على ركبتيها إلى الظهر ومات. فصعدت وأضجعته على سرير رجل الله وأغلقت عليه وخرجت. ونادت رجلها وقالت أرسل لى واحدًا من الغلمان وإحدى الأتن فأجرى إلى رجل الله وأرجع. **فقال لماذا تذهبين إليه اليوم؟ لا رأس شهر ولا سبت.** فقالت سلام. وشدت على الأتان وقالت لغلامها سق وسر ولا تتعوق لأجلى فى الركوب إن لم أقل لك. وانطلقت حتى جاءت إلى رجل الله إلى جبل الكرمل. فلما رآها رجل الله من بعيد قال لجحيزى غلامه هو ذا تلك الشونمية. اركض الآن للقائها وقل لها أسلام لك؟ أسلام لزوجك؟ أسلام للولد؟ فقالت سلام. فلما جاءت إلى رجل الله إلى الجبل أمسكت رجليه. فتقدم جحيزى ليدفعها. فقال رجل الله دعها لأن نفسها مرَّة فيها والرب كتم الأمر عنى ولم يخبرنى. فقالت هل طلبت ابنًا من سيدى. ألم أقل لا تخدعنى. فقال لجحيزى أشدد حقويك وخذ عكازى بيدك وانطلق وإذا صادفت أحدًا فلا تباركه وإن باركك أحد فلا تجبه. وضع عكازى على وجه الصبى. فقالت أم الصبى حى هو الرب وحية هى نفسك إننى لا أتركك. فقام وتبعها. وجاز جحيزى قدامهما ووضع العكاز على وجه الصبى فلم يكن صوت ولا مصغ. فرجع للقائه وأخبره قائلاً لم ينتبه الصبى. ودخل أليشع البيت وإذا بالصبى ميت ومضطجع على سريره. فدخل

وأغلق الباب على نفسيهما كليهما وصلى إلى الرب. ثم صعد واضطجع فوق الصبى ووضع فمه على فمه وعينيه على عينيه ويديه على يديه وتمدد عليه فسخن جسد الولد. ثم عاد وتمشى فى البيت تارة إلى هنا وتارة إلى هناك وصعد وتمدد عليه فعطس الصبى سبع مرات ثم فتح الصبى عينيه. فدعا جحيزى وقال ادع هذه الشونمية. فدعاها ولما دخلت إليه قال احملى ابنك. فأتت وسقطت على رجليه وسجدت إلى الأرض ثم حملت ابنها وخرجت» (الملوك الثانى ٤).

الفصل الثانى
فى
نصوص من القرآن
فى يوم السبت

تفسير قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ * فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة ٦٥-٦٦)

فى تفسير الإمام ابن كثير رضى الله عنه:

«يقول تعالى: ولقد علمتم يا معشر اليهود ما حل من البأس بأهل القرية التى عصت أمر الله وخالفوا عهده وميثاقه فيما أخذه عليهم من تعظيم السبت والقيام بأمره إذ كان مشروعا لهم فتحيلوا على اصطياد الحيتان فى يوم السبت بما وضعوا لها من الشصوص والحبائل والبرك قبل يوم السبت فلما جاءت يوم السبت على عادتها فى الكثرة نشبت بتلك الحبائل والحيل فلم تخلص منها يومها ذلك فلما كان الليل أخذوها بعد انقضاء السبت، فلما فعلوا ذلك مسخهم الله إلى صورة القردة وهى أشبه شىء بالأناس فى الشكل الظاهر وليست بإنسان حقيقة، فكذلك أعمال هؤلاء وحيلتهم لما كانت مشابهة للحق فى الظاهر ومخالفة له فى الباطن كان جزاؤهم من جنس

عملهم.

وهذه القصة مبسوطة فى سورة الأعراف حيث يقول تعالى **﴿واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر إذ يعدون فى السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون﴾** القصة بكمالها، وقال السدى: أهل هذه القرية هم أهل أيلة، وكذا قال قتادة وسنورد أقوال المفسرين هناك مبسوطة إن شاء الله وبه الثقة، وقوله تعالى **﴿فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾** قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو حذيفة حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد **﴿فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾** قال مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة. وإنما هو مثل ضربه الله **﴿كمثل الحمار يحمل أسفارا﴾** ورواه ابن جرير عن المثنى عن أبى حذيفة وعن محمد بن عمر الباهلى وعن أبى عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد به وهذا سند جيد عن مجاهد وقول غريب خلاف الظاهر من السياق فى هذا المقام وفى غيره قال الله تعالى: **﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت﴾** الآية.

وقال العوفى فى تفسيره عن ابن عباس **﴿فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾** فجعل الله منهم القردة والخنازير، فزعم أن شباب القوم صاروا قردة، وأن الشيخة صاروا خنازير: وقال شيبان النحوى عن قتادة **﴿فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾** فصار القوم قردة تعاوى لها أذناب بعد ما كانوا رجالا ونساء وقال عطاء الخراسانى: نودوا يا أهل القرية **﴿كونوا قردة خاسئين﴾** فجعل الذين نهوهم يدخلون عليهم فيقولون يا فلان ألم ننهكم فيقولون برؤوسهم أى بلى، وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسن حدثنا عبدالله بن محمد بن ربيعة بالمصيصة حدثنا محمد بن مسلم يعنى الطائفى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال: إنما كان الذين اعتدوا فى السبت فجعلوا قردة فواقا ثم هلكوا ما كان للمسخ نسل.

وقال الضحاك عن ابن عباس فمسخهم الله قردة بمعصيتهم يقول إذ لا يحيون فى الأرض إلا ثلاثة أيام وقال: ولم يعش مسخ قط فوق ثلاثة أيام ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل، وقد خلق الله القردة والخنازير وسائر الخلق في الستة أيام التى ذكرها الله فى كتابه فمسخ هؤلاء القوم فى صورة القردة، وكذلك يفعل بمن يشاء كما يشاء. ويحوله كما يشاء وقال أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله **﴿كونوا قردة خاسئين﴾** قال يعنى أذلة صاغرين.

وروى عن مجاهد وقتادة والربيع وأبى مالك نحوه وقال محمد بن إسحاق عن داود بن أبى الحصين عن عكرمة قال: قال ابن عباس إن الله إنما افترض على بنى إسرائيل اليوم الذى افترض عليكم فى عيدكم -يوم الجمعة- فخالفوا إلى السبت فعظموه وتركوا ما أمروا به فلما أبوا إلا لزوم السبت ابتلاهم الله فيه فحرم عليهم ما أحل لهم فى غيره وكانوا فى قرية بين أيلة والطور يقال لها مدين، فحرم الله عليهم فى السبت الحيتان صيدها وأكلها وكانوا إذا كان يوم السبت أقبلت إليهم شرعا إلى ساحل بحرهم حتى إذا ذهب السبت ذهبن فلم يروا حوتا صغيرا ولا كبيرا حتى إذا كان يوم السبت أتين شرعا حتى إذا ذهبت السبت ذهبن فكانوا كذلك حتى طال عليهم الأمد وقرموا إلى الحيتان عمد رجل منهم فأخذ حوتا سرًا يوم السبت فحزمه بخيط ثم أرسله فى الماء وأوتد له وتدًا فى الساحل فأوثقه ثم تركه حتى إذا كان الغد جاء فأخذه أى إنى لم آخذه فى يوم السبت فانطلق به فأكله حتى إذا كان يوم السبت الآخر عاد لمثل ذلك ووجد الناس ريح الحيتان فقال أهل القرية والله لقد وجدنا ريح الحيتان، ثم عثروا على صنيع ذلك الرجل، قال ففعلوا كما فعل وصنعوا سرًا زمانا طويلا لم يعجل الله عليهم العقوبة حتى صادوها علانية وباعوها فى الأسواق.

فقالت طائفة منهم من أهل البقية ويحكم اتقوا الله ونهوهم عما كانوا يصنعون، فقالت طائفة أخرى لم تأكل الحيتان ولم تنه القوم عما صنعوا: لم

تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدًا؟ قالوا معذرة إلى ربكم بسخطنا أعمالهم ولعلهم يتقون، قال ابن عباس: فبينا هم على ذلك أصبحت تلك البقية فى أنديتهم ومساجدهم فقدوا الناس فلم يروهم قال فقال بعضهم لبعض إن للناس شأنا فانظروا ما هو فذهبوا ينظرون فى دورهم فوجدوها مغلقة عليهم قد دخلوها ليلا فغلقوها على أنفسهم كما يغلق الناس على أنفسهم فأصبحوا فيها قردة وإنهم ليعرفون الرجل بعينه وإنه لقرد والمرأة بعينها وإنها لقردة والصبى بعينه وإنه لقرد، قال: قال ابن عباس فلولا ما ذكر الله أنه نجى الذين نهوا عن السوء لقد أهلك الله الجميع منهم، قال وهى القرية التى قال جل ثناؤه لمحمد ﷺ **﴿واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر﴾** الآية. وروى الضحاك عن ابن عباس نحوا من هذا، وقال السدى فى قوله تعالى **﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾** قال هم أهل أيلة، وهى القرية التى كانت حاضرة البحر فكانت الحيتان إذا كان يوم السبت - وقد حرّم الله على اليهود أن يعملوا فى السبت شيئًا لم يبق فى البحر حوت إلا خرج حتى يخرجن خراطيمهن من الماء يوم الأحد لزمن سفل البحر فلم ير منهن شىء حتى يكون يوم السبت فذلك قوله تعالى: **﴿واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر إذ يعدون فى السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم﴾** فاشتهى بعضهم السمك فجعل الرجل يحفر الحفيرة ويجعل لها نهرا إلى البحر، فإذا كان يوم السبت فتح النهر فأقبل الموج بالحيتان يضربها حتى يلقيها فى الحفيرة فيريد الحوت أن يخرج فلا يطيق من أجل قلة ماء النهر فيمكث فيها فإذا كان يوم الأحد جاء فأخذه فجعل الرجل يشوى السمك فيجد جاره روائحه فيسأله فيخبره فيصنع مثل ما صنع جاره حتى فشا فيهم أكل السمك فقال لهم علماؤهم: ويحكم إنما تصطادون يوم السبت وهو لا يحل لكم، فقالوا: إنما صدناه يوم الأحد حين أخذناه، فقال الفقهاء لا ولكنكم صدتموه يوم فتحتم له

الماء فدخل، قال وغلبوا أن ينتهوا. فقال بعض الذين نهوهم لبعض **﴿لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا﴾** يقول لم تعظوهم وقد وعظتموهم فلم يطيعوكم، فقال بعضهم **﴿معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون﴾** فلما أبوا قال المسلمون والله لا نساكنكم فى قرية واحدة فقسموا القرية بجدار ففتح المسلمون بابا والمعتدون فى السبت بابا ولعنهم داود عليه السلام.

فجعل المسلمون يخرجون من بابهم والكفار من بابهم، فخرج المسلمون ذات يوم ولم يفتح الكفار بابهم فلما أبطأوا عليهم تسوّر المسلمون عليهم الحائط فإذا هم قردة يثب بعضهم على بعض ففتحوا عنهم فذهبوا فى الأرض فذلك قول الله تعالى **﴿فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾** وذلك حين يقول **﴿لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم﴾** الآية فهم القردة (قلت) والغرض من هذا السياق عن هؤلاء الأئمة بيان خلاف ما ذهب إليه مجاهد رحمه الله من أن مسخهم إنما كان معنويا لا صوريا بل الصحيح أنه معنوى صورى والله تعالى أعلم.

وقوله تعالى **﴿فجعلناها نكالا﴾** قال بعضهم الضمير فى فجعلناها عائد على القردة وقيل على الحيتان وقيل على العقوبة وقيل على القرية حكاها ابن جرير والصحيح أن الضمير عائد على القرية، أى فجعل الله هذه القرية والمراد أهلها بسبب اعتدائهم فى سبتهم. **﴿نكالا﴾** أى عاقبناهم عقوبة فجعلناها عبرة كما قال الله عن فرعون **﴿فأخذه الله نكال الآخرة والأولى﴾** وقوله تعالى **﴿لما بين يديها وما خلفها﴾** أى من القرى، قال ابن عباس: يعنى جعلناها بما أحللنا بها من العقوبة عبرة لما حولها من القرى كما قال تعالى **﴿ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون﴾** ومنه قوله تعالى **﴿أو لم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها﴾** الآية على أحد الأقوال فالمراد لما بين يديها وما خلفها فى المكان كما قال محمد بن إسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس: لما بين يديها من القرى وما خلفها من القرى، وكذا قال سعيد بن جبير لما بين يديها وما خلفها، قال من

بحضرتها من الناس يومئذ. وروى عن إسماعيل بن أبى خالد وقتادة وعطية العوفى: **﴿فجعلناها نكالا لما بين يديها﴾** قال ما قبلها من الماضين فى شأن السبت، وقال أبو العالية والربيع وعطية: وما خلفها لما بقى بعدهم من الناس من بنى إسرائيل أن يعملوا مثل عملهم، وكان هؤلاء يقولون المراد لما بين يديها وما خلفها فى الزمان. وهذا مستقيم بالنسبة إلى من يأتى بعدهم من الناس أن تكون أهل تلك القرية عبرة لهم، وأمّا بالنسبة إلى من سلف قبلهم من الناس فكيف يصح هذا الكلام أن تفسر الآية به وهو أن يكون عبرة لمن سبقهم؟ وهذا لعل أحدًا من الناس لا يقوله بعد تصوره - فتعين أن المراد بما بين يديها وما خلفها فى المكان وهو ما حولها من القرى كما قاله ابن عباس وسعيد بن جبير والله أعلم.

وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية **﴿فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها﴾** أى عقوبة لما خلا من ذنوبهم، وقال ابن أبى حاتم: وروى عن عكرمة ومجاهد والسدى والفراء وابن عطية: لما بين يديها من ذنوب القوم وما خلفها لمن يعمل بعدها مثل تلك الذنوب، وحكى الرازى ثلاثة أقوال: أحدها أن المراد بما بين يديها وما خلفها من تقدّمها من القرى بما عندهم من العلم يخبرها بالكتب المتقدمة ومن بعدها. والثانى المراد بذلك من بحضرتها من القرى والأمم. والثالث أنه تعالى جعلها عقوبة لجميع ما ارتكبوه من قبل هذا الفعل وما بعده وهو قول الحسن (قلت) وأرجح الأقوال المراد بما بين يديها وما خلفها من بحضرتها من القرى يبلغهم خبرها وما حل بها كما قال تعالى **﴿ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى﴾** الآية وقال تعالى **﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة﴾** الآية وقال تعالى: **﴿أفلا يرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها﴾** فجعلهم عبرة ونكالا لمن فى زمانهم وموعظة لمن يأتى بعدهم بالخبر المتواتر عنهم ولهذا قال **﴿وموعظة للمتقين﴾**.

وقوله تعالى **﴿وموعظة للمتقين﴾** قال محمد بن إسحق عن داود بن

الحصين عن عكرمة عن ابن عباس **﴿وموعظة للمتقين﴾** الذين من بعدهم إلى يوم القيامة وقال الحسن وقتادة **﴿وموعظة للمتقين﴾** بعدهم فيتقون نقمة الله ويحذرونها. وقال السدى وعطية العوفى: **﴿وموعظة للمتقين﴾** قال أمة محمد ﷺ (قلت) المراد بالموعظة ههنا الزاجر أى جعلنا ما أحللنا بهؤلاء من البأس والنكال فى مقابلة ما ارتكبوه من محارم الله وما تحيلوا به من الحيل فليحذر المتقون صنيعهم لئلا يصيبهم ما أصابهم كما قال الإمام أبو عبدالله بن بطة حدّثنا أحمد بن محمد بن مسلم حدّثنا الحسن ابن محمد ابن الصباح الزعفرانى حدّثنا يزيد بن هرون حدّثنا محمد بن عمر عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل» وهذا إسناد جيد وأحمد بن محمد بن مسلم هذا وثقه الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادى وباقى رجاله مشهورون على شرط الصحيح والله أعلم». أهـ

تفسير قوله تعالى:

﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (الأعراف ١٦٣-١٦٦)

«هذا السياق هو بسط لقوله تعالى **﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت﴾** الآية يقول تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه **﴿واسألهم﴾** أى واسأل هؤلاء اليهود الذين بحضرتك عن قصة أصحابهم الذين خالفوا أمر

الله ففاجأتهم نقمته على صنيعهم واعتدائهم واحتيالهم فى المخالفة وحذر هؤلاء من كتمان صفتك التى يجدونها فى كتبهم لئلا يحل بهم ما حل بإخوانهم وسلفهم وهذه القرية هى إيلة وهى على شاطئ بحر القلزم قال محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله تعالى **﴿واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر﴾** قال هى قرية يقال لها إيلة بين مدين والطور وكذا قال عكرمة ومجاهد وقتادة والسدى وقال عبدالله بن كثير القارئ سمعنا أنها إيلة وقيل هى مدين وهو رواية عن ابن عباس وقال ابن يزيد هى قرية يقال لها منتنا بين مدين وعينونا وقوله **﴿إذ يعدون فى السبت﴾** أى يعتدون فيه ويخالفون أمر الله فيه لهم بالوصاة به إذ ذاك **﴿إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعًا﴾** قال الضحاك عن ابن عباس أى ظاهرة على الماء وقال العوفى عن ابن عباس شرعًا من كل مكان قال ابن جرير وقوله **﴿ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم﴾** أى نختبرهم بإظهار السمك لهم على ظهر الماء فى اليوم المحرم عليهم صيده وإخفائها عنهم فى اليوم الحلال لهم صيده **﴿كذلك نبلوهم﴾** نختبرهم **﴿بما كانوا يفسقون﴾** يقول بفسقهم عن طاعة الله وخروجهم عنها وهؤلاء قوم احتالوا على انتهاك محارم الله بما تعاطوا من الأسباب الظاهرة التى معناها فى الباطن تعاطى الحرام.

وقد قال الفقيه الإمام أبو عبدالله بن بطة رحمه الله حدثنا أحمد ابن محمد بن سلم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفرانى حدثنا يزيد بن هارون حدثنا محمد ابن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال «لا ترتكبوا ما ارتكب اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل» وهذا إسناد جيد فإن أحمد بن محمد بن سلم هذا ذكره الخطيب فى تاريخه ووثقه وباقى رجاله مشهورون ثقات ويصحح الترمذى بمثل هذا الإسناد كثيرًا.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا

نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾

يخبر تعالى عن أهل هذه القرية أنهم صاروا إلى ثلاث فرق فرقة ارتكبت المحذور واحتالوا على اصطياد السمك يوم السبت كما تقدم بيانه فى سورة البقرة وفرقة نهت عن ذلك واعتزلتهم وفرقة سكتت فلم تفعل ولم تنه ولكنها قالت للمنكرة **﴿لم تعظون قومًا الله مهلكهم أو معذبهم عذابًا شديدًا﴾** أى لم تنهون هؤلاء وقد علمتم أنهم قد هلكوا واستحقوا العقوبة من الله فلا فائدة فى نهيكم إياهم؟ قالت لهم المنكرة **﴿معذرة إلى ربكم﴾** قرأ بعضهم بالرفع كأنه على تقدير هذا معذرة وقرأ آخرون بالنصب أى نفعل ذلك **﴿معذرة إلى ربكم﴾** أى فيما أخذ علينا من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر **﴿ولعلهم يتقون﴾** يقولون ولعل لهذا الإنكار يتقون ما هم فيه ويتركونه ويرجعون إلى الله تائبين فإذا تابوا تاب الله عليهم ورحمهم قال تعالى **﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾** أى فلما أبى الفاعلون قبول النصيحة **﴿أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا﴾** أى ارتكبوا المعصية **﴿بعذاب بئيس﴾** فنص على نجاة الناهين وهلاك الظالمين وسكت عن الساكتين لأن الجزاء من جنس العمل فهم لا يستحقون مدحًا فيمدحوا ولا ارتكبوا عظميًا فيذموا ومع هذا فقد اختلف الأئمة فيهم هل كانوا من الهالكين أو من الناجين على قولين، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس **﴿وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قومًا الله مهلكهم أو معذبهم عذابًا شديدًا﴾** هى قرية على شاطئ البحر بين مصر والمدينة يقال لها إيلة فحرم الله عليهم الحيتان يوم سبتهم وكانت الحيتان تأتيهم يوم سبتهم شرعًا فى ساحل البحر فإذا مضى يوم السبت لم يقدروا عليها فمضى على ذلك ما شاء الله ثم إن طائفة منهم أخذوا الحيتان يوم سبتهم فنهتهم طائفة وقالوا تأخذونها وقد حرمها الله عليكم يوم سبتكم؟ فلم يزدادو إلا غيًا وعتوًا وجعلت طائفة أخرى تنهاهم فلما طال ذلك عليهم قالت طائفة من النهاة تعلمون أن هؤلاء قوم قد حق عليهم العذاب **﴿لم تعظون قومًا الله مهلكهم﴾**

وكانوا أشد غضبًا لله من الطائفة الأخرى فقالوا **﴿معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون﴾** وكل قد كانوا ينهون فلما وقع عليهم غضب الله نجت الطائفتان اللتان قالوا لم تعظون قومًا الله مهلكهم والذين قالوا معذرة إلى ربكم وأهلك الله أهل معصيته الذين أخذوا الحيتان فجعلهم قردة.

وروى العوفى عن ابن عباس عنه قريبًا من هذا، وقال حماد بن زيد عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس فى الآية قال ما أدرى أنجا الذين قالوا **﴿لم تعظون قومًا الله مهلكهم﴾** أم لا؟ قال فلم أزل به حتى عرفته أنهم قد نجوا فكسانى حلة.

وقال عبد الرازق أخبرنا ابن جريج حدثنى رجل عن عكرمة قال جئت ابن عباس يومًا وهو يبكى وإذا المصحف فى حجره فأعظمت أن أدنو منه ثم لم أزل على ذلك حتى تقدمت فجلست فقلت ما يبكيك يا ابن عباس جعلنى الله فداك؟ قال: فقال هؤلاء الورقات قال وإذا هو فى سورة الأعراف قال تعرف إيلة؟ قلت نعم قال فإنه كان بها حى من اليهود سيقت الحيتان إليهم يوم السبت ثم غاصت لا يقدرون عليها حتى يغوصوا بعد كد ومؤنة شديدة كانت تأتيهم يوم سبتهم شرعًا بيضاء سمانًا كأنها الماخض تنتطح ظهورها لبطونها بأفنيتهم فكانوا كذلك برهة من الدهر.

ثم إن الشيطان أوحى إليهم فقال إنما نهيتهم عن أكلها يوم السبت فخذوها فيه وكلوها فى غيره من الأيام فقالت ذلك طائفة منهم وقالت طائفة بل نهيتم عن أكلها وأخذها وصيدها يوم السبت فكانوا كذلك حتى جاءت الجمعة المقبلة فغدت طائفة بأنفسها وأبنائها ونسائها واعتزلت طائفة ذات اليمين وتنحت واعتزلت طائفة ذات اليسار وسكتت وقال الأيمنون ويلكم الله، ننهاكم أن تتعرضوا لعقوبة الله وقال الأيسرون **﴿لم تعظون قومًا الله مهلكهم أو معذبهم عذابًا شديدًا﴾** قال الأيمنون **﴿معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون﴾** أى ينتهون، إن ينتهوا فهو أحب إلينا أن لا يصابوا ولا يهلكوا وإن لم ينتهوا فمعذرة إلى ربكم فمضوا على الخطيئة وقال الأيمنون فعلتم يا أعداء الله والله

لنأتينكم الليلة فى مدينتكم والله ما نراكم تصبحون حتى يصبحكم الله بخسف أو قذف أو بعض ما عنده من العذاب فلما أصبحوا ضربوا عليهم الباب ونادوا فلم يجابوا فوضعوا سمًا وأعلوا سور المدينة رجلاً فالتفت إليهم فقال أى عباد الله قردة والله تعادى تعادى لها أذناب قال ففتحوا فدخلوا عليهم فعرفت القرود أنسابها من الإنس ولا تعرف الإنس أنسابها من القردة فجعلت القرود يأتيها نسيبها من الإنس فتشم ثيابه وتبكى فيقول ألم ننهكم عن كذا فتقول برأسها أى نعم ثم قرأ ابن عباس **﴿فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس﴾** قال فأرى الذين نهوا قد نجوا ولا أرى الآخرين ذكروا، ونحن نرى أشياء نذكرها ولا نقول فيها، قال قلت جعلنى الله فداك ألا ترى أنهم قد كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا **﴿لم تعظون قومًا الله مهلكهم﴾** قال فأمر لى فكسيت ثوبين غليظين، وكذا روى مجاهد عنه، وقال ابن جرير حدثنا يونس أخبرنا أشهب بن عبد العزيز عن مالك قال زعم ابن رومان أن قوله تعالى **﴿تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعًا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم﴾** قال كانت تأتيهم يوم السبت فإذا كان الماء ذهبت فلا يرى منها شىء إلى يوم السبت الآخر فاتخذ لذلك رجل خيطًا ووتدًا فربط حول منها فى الماء يوم السبت حتى إذا أمسوا ليلة الأحد أخذه فاشتواه فوجد الناس ريحه فأتوه فسألوه عن ذلك فجحدهم فلم يزالوا به حتى قال لهم فإنه جلد حوت وجدناه فلما كان السبت الآخر فعل مثل ذلك ولا أدرى لعله قال ربط حوتين فلما أمسى من ليلة الأحد أخذه فاشتواه فوجدوا رائحة فجاءوا فسألوه فقال لهم لو شئتم صنعتم كما أصنع. فقالوا له وما صنعت؟ فأخبرهم ففعلوا مثل ما فعل حتى كثر ذلك وكانت لهم مدينة له ربض يغلقونها عليهم فأصابهم من المسخ ما أصابهم فغدوا عليهم جيرانهم ممن كانوا حلوهم يطلبون منهم ما يطلب الناس فوجدوا المدينة مغلقة عليهم فنادوا فلم يجيبوهم فتسوروا عليهم فإذا هم قردة فجعل القرد يدنو يتمسح بمن كان يعرف قبل ذلك ويدنو منه ويتمسح به، وقد قدمنا فى سورة البقرة من الآثار فى خبر هذه القرية ما فيه

مقنع وكفاية ولله الحمد والمنة.

(القول الثانى) أن الساكتين كانوا من الهالكين قال محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال ابتدعوا السبت فابتلوا فيه فحرمت عليهم فيه الحيتان فكانوا إذا كان يوم السبت شرعت لهم الحيتان ينظرون إليها فى البحر فإذا انقضى السبت ذهبت فلم تر حتى السبت المقبل فإذا جاء السبت جاءت شرعا فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا كذلك ثم إن رجلاً منهم أخذ حوتًا فخزم أنفه ثم ضرب له وتدًا فى الساحل وربطه وتركه فى الماء، فلما كان الغد أخذه فشواه فأكله ففعل ذلك وهم ينظرون ولا ينكرون ولا ينهاه منهم أحد إلا عصبة منهم نهوه حتى ظهر ذلك فى الأسواق ففعل علانية قال فقالت طائفة للذين ينهونهم **﴿لم تعظون قومًا الله مهلكهم أو معذبهم عذابًا شديدًا قالوا معذرة إلى ربكم﴾** فقالوا نسخط أعمالهم **﴿ولعلهم يتقون. فلما نسوا ما ذكروا به** -إلى قوله- **قردة خاسئين﴾** قال ابن عباس كانوا أثلاثًا ثلث نهوا وثلث قالوا **﴿لم تعظون قومًا الله مهلكهم﴾** وثلث أصحاب الخطيئة فما نجا إلا الذين نهوا وهلك سائرهم، وهذا إسناد جيد عن ابن عباس ولكن رجوعه إلى قول عكرمة فى نجاة الساكتين أولى من القول بهذا لأنه تبين حالهم بعد ذلك والله أعلم، وقوله تعالى **﴿وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس﴾** فيه دلالة بالمفهوم على أن الذين بقوا نجوا وبئيس فيه قراآت كثيرة ومعناه فى قول مجاهد الشديد، وفى رواية أليم وقال قتادة موجع والكل متقارب والله أعلم، وقوله **﴿خاسئين﴾** أى ذليلين حقيرين مهانين» أهـ

تفسير قوله تعالى:

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

الْفَاسِقُونَ * وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾

يقول تعالى ﴿**وقفينا**﴾ أى أتبعنا على آثارهم يعنى أنبياء بنى إسرائيل ﴿**بعيسى ابن مريم مصدقًا لما بين يديه من التوراة**﴾ أى مؤمنًا بها حاكمًا بما فيها ﴿**وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور**﴾ أى هدى إلى الحق ونور يستضاء به فى إزالة الشبهات وحل المشكلات ﴿**ومصدقًا لما بين يديه من التوراة**﴾ أى متبعًا لها غير مخالف لما فيها إلا فى القليل مما بين لبنى إسرائيل بعض ما كانوا يختلفون فيه كما قال تعالى إخبارًا عن المسيح أنه قال لبنى إسرائيل ﴿**ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم**﴾ ولهذا كان المشهور(1) من قول العلماء: أن الإنجيل نسخ بعض أحكام التوراة. وقوله تعالى ﴿**وهدى وموعظة للمتقين**﴾ أى وجعلنا الإنجيل هدى يهتدى به وموعظة أى زاجرًا عن ارتكاب المحارم والمآثم للمتقين أى لمن اتقى الله وخاف وعيده وعقابه. وقوله تعالى: ﴿**وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه**﴾ قرئ وليحكمَ أهل الإنجيل بالنصب على أن اللام لام كى أى وآتيناه الإنجيل ليحكم أهل ملته به فى زمانهم(2). وقرئ وليحكم بالجزم على أن اللام لام الأمر أى ليؤمنوا بجميع ما فيه وليقيموا ما أمروا به فيه. ومما فيه البشارة ببعثة محمد والأمر باتباعه وتصديقه إذا وجد كما قال

---

(1) المؤلف ناقض نفسه. فإنه قال حاكما بما فيها. ثم قال إلا فى القليل. والصحيح: أن الإنجيل لم ينسخ التوراة. والذى نسخ التوراة هو القرآن. وكان المسيح يحل لهم بعض ما حرمه العلماء من تلقاء أنفسهم.

(2) المسيح لم يكن ملكا أو قاضيا. والإنجيل عام فى زمانه وغير زمانه لأنه بشرى بمجئ محمد رسول الله ﷺ.

الله تعالى: ﴿**قل يا أهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم**﴾ الآية. وقال تعالى ﴿**الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبًا عندهم فى التوراة**﴾ إلى قوله ﴿**المفلحون**﴾ ولهذا قال ههنا: ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون**﴾ أى الخارجون عن طاعة ربهم المائلون إلى الباطل التاركون للحق وقد تقدم أن هذه الآية نزلت فى النصارى وهو ظاهر من السياق.

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

لما ذكر تعالى التوراة التى أنزلها على موسى كليمه ومدحها وأثنى عليها وأمر باتباعها حيث كانت سائغة الاتباع وذكر الإنجيل ومدحه وأمر أهله بإقامته وأسباغ ما فيه كما تقدم بيانه؛ شرع فى ذكر القرآن العظيم الذى أنزله على عبده ورسوله الكريم فقال تعالى ﴿**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق**﴾ أى بالصدق الذى لا ريب فيه أنه من عنده الله ﴿**مصدقًا لما بين يديه من الكتاب**﴾ أى من الكتب[1] المتقدمة المتضمنة ذكره ومدحه وأنه سينزل من عند الله على عبده ورسوله محمد ﷺ فكان نزوله كما أخبرت به مما زادها صدقًا عند حامليها من ذوى البصائر الذين انقادوا لأمر الله واتبعوا شرائع الله وصدقوا رسل الله كما قال تعالى ﴿**إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى**

(١) الصحيح كتاب التوراة فقط.

عليهم يخرون للأذقان سجدًا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا﴾ أى إن كان ما وعد الله على ألسنة رسله المتقدم من مجئ محمد عليه السلام لمفعولا أى لكائنا لا محالة حسن، وقوله تعالى **﴿ومهيمنًا عليه﴾** قال سفيان الثورى وغيره عن أبى إسحق عن التميمى عن ابن عباس أى مؤتمنًا عليه، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس: المهيمن الأمين. قال: القران أمين على كل كتاب قبله ورواه عن عكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومحمد بن كعب وعطية والحسن وقتادة وعطاء والخراسانى والسدى وابن زيد نحو ذلك وقال ابن جرير القرآن أمين على الكتب المتقدمة قبله فما وافقه منها فهو حق وما خالفه منها فهو باطل وعن الوالى عن ابن عباس **﴿ومهيمنًا﴾** أى شهيدًا وكذا قال مجاهد وقتادة والسدى وقال العوفى عن ابن عباس **﴿ومهيمنًا﴾** أى حاكمًا على ما قبله من الكتب. وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى. فإن اسم المهيمن يتضمن هذا كله فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله جعل الله هذا الكتاب العظيم الذى أنزله آخر الكتب وخاتمها وأشملها وأعظمها وأكملها حيث جمع فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات ما ليس فى غيره. فلهذا جعله شاهدًا وأمينًا وحاكمًا عليها كلها وتكفل تعالى حفظه بنفسه الكريمة فقال تعالى **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون﴾**.

فأما ما حكاه ابن أبى حاتم عن عكرمة وسعيد بن جبير وعطاء الخراسانى وابن أبى نجيح عن مجاهد أنهم قالوا فى قوله **﴿ومهيمنًا عليه﴾** يعنى محمدًا ﷺ أمين على القرآن. فإنه صحيح فى المعنى ولكن فى تفسير هذا بهذا نظر وفى تنزيله عليه من حيث العربية أيضًا نظر، وبالجملة فالصحيح الأول. وقال أبو جعفر بن جرير بعد حكايته له عن مجاهد: وهذا التأويل بعيد من المفهوم فى كلام العرب بل هو خطأ وذلك أن المهيمن عطف على المصدق فلا يكون إلا صفة لما كان المصدق صفة له. ولو كان الأمر كما قال مجاهد لقال: **﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه﴾** يعنى من غير عطف.

وقوله تعالى: **﴿فاحكم بينهم بما أنزل الله﴾** أى فاحكم يا محمد بين الناس عربهم وعجمهم أميهم وكتابيهم بما أنزل الله إليك من هذا الكتاب العظيم[1] وبما قرره لك من حكم من كان قبلك من الأنبياء ولم ينسخه فى شرعك. هكذا وجهه ابن جرير بمعناه. قال ابن أبى حاتم: حدثنا محمد بن عمار حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس قال: كان النبى ﷺ مخيرًا إن شاء حكم بينهم وإن شاء أعرض عنهم فردهم إلى أحكامهم. فنزلت **﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم﴾** فأمر رسول الله ﷺ أن يحكم بينهم بما فى كتابنا، وقوله **﴿ولا تتبع أهواءهم﴾** أى آراءهم التى اصطلحوا عليها وتركوا بسببها ما أنزل الله على رسله. ولهذا قال تعالى: **﴿ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق﴾** أى لا تتصرف عن الحق الذى أمرك الله به إلى أهواء هؤلاء من الجهلة الأشقياء.

وقوله تعالى **﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾** قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن يوسف بن أبى إسحق عن أبيه عن التميمى أبى إسحق عن التميمى عن ابن عباس **﴿ومنهاجا﴾** قال سنة. وكذا روى العوفى عن ابن عباس **﴿شرعة ومنهاجا﴾** سبيلا وسنة. وكذا روى عن مجاهد وعكرمة والحسن البصرى وقتادة والضحاك والسدى وأبى إسحق السبيعى أنهم قالوا فى قوله **﴿شرعة ومنهاجًا﴾** أى سبيلاً وسنة. وعن ابن عباس أيضًا ومجاهد أى وعطاء الخراسانى عكسه شرعة ومنهاجًا أى سنة وسبيلاً. والأول أنسب فإن الشرعة وهى الشريعة أيضًا هى ما يبتدأ فيه إلى الشىء ومنه يقال شرع فى كذا أى ابتدأ فيه. وكذا الشريعة وهى ما يشرع فيها إلى الماء. أما المنهاج فهو الطريق الواضح السهل، والسنن الطرائق، فتفسير قوله **﴿شرعة ومنهاجًا﴾** بالسبيل والسنة أظهر فى المناسبة من العكس والله أعلم.

(١) قوله وبما قرره لك من حكم... إلخ قول باطل. لأن المنسوخ من التوراة لا يعمل به.

ثم هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة فى الأحكام المتفقة فى التوحيد كما ثبت فى صحيح البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال «نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات ديننا واحد» يعنى بذلك التوحيد الذى بعث الله به كل رسول أرسله وضمنه كل كتاب أنزله كما قال تعالى **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾** وقال تعالى **﴿ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾** الآية. وأما الشرائع فمختلفة فى الأوامر والنواهى فقد يكون الشىء فى هذه الشريعة حرامًا ثم يحل فى الشريعة الأخرى وبالعكس وخفيفًا فيزاد فى الشدة فى هذه دون هذه وذلك لما له تعالى فى ذلك من الحكمة البالغة، والحجة الدامغة.

قال سعيد بن أبى عروبة عن قتادة قوله **﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا﴾** يقول: سبيلاً وسنة والسنن مختلفة هى فى التوراة شريعة وفى الإنجيل شريعة[1]، وفى الفرقان شريعة، يحل الله فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، والدين الذى لا يقبل الله غيره التوحيد والإخلاص لله الذى جاءت به جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام. وقيل: المخاطب بهذه الآية هذه الأمة. ومعناه: لكل جعلنا القرآن منكم أيتها الأمة شرعة ومنهاجًا. أى هو لكم كلكم تقتدون به، وحذف الضمير المنصوب فى قوله: **﴿لكل جعلنا منكم﴾** أى جعلنا يعنى القرآن شرعة ومنهاجًا. أى سبيلاً إلى المقاصد الصحيحة وسنة أى طريقًا ومسلكًا واضحًا بينًا، هذا مضمون ما حكاه ابن جرير عن مجاهد رحمه الله، والصحيح القول الأول ويدل على ذلكك قوله تعالى بعده **﴿ولو شاء الله لجعلكم أمّة واحدة﴾** فلو كان هذا خطابًا لهذه الأمّة لما صح أن يقول **﴿ولو شاء الله لجعلكم أمّة واحدة﴾** وهم أمّة واحدة ولكن هذا خطاب لجميع الأمم[2] وإخبار عن قدرته تعالى العظيمة التى لو

(١) الإنجيل ليس شريعة. فإن المسيح ما نقض الناموس.

(٢) قوله لجميع الأمم ينقضه أنه يتكلم عن أمتين اثنتين.

شاء لجمع الناس كلهم على دين واحد وشريعة واحدة لا ينسخ شىء منها؛ ولكنه تعالى شرع لكل رسول شريعة[1] على حدة ثم نسخها أو بعضها برسالة الآخر الذى بعده؛ حتى نسخ الجميع بما بعث به عبده ورسوله محمدًا ﷺ الذى ابتعثه إلى أهل الأرض قاطبة، وجعله خاتم الأنبياء كلهم. ولهذا قال تعالى: **﴿ولو شاء الله لجعلكم أمّة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم﴾** أى أنه تعالى شرع الشرائع مختلفة ليختبر عباده فيما شرع لهم ويثيبهم أو يعاقبهم على طاعته ومعصيته بما فعلوه أو عزموا عليه من ذلك كله. وقال عبدالله ابن كثير **﴿فيما آتاكم﴾** يعنى من الكتاب.

ثم إنه تعالى ندبهم إلى المسارعة إلى الخيرات والمبادرة إليها فقال **﴿فاستبقوا الخيرات﴾** وهى طاعة الله واتباع شرعه الذى جعله ناسخًا لما قبله والتصديق بكتابه القرآن الذى هو آخر كتاب أنزله.

ثم قال تعالى: **﴿إلى الله مرجعكم﴾** أى معادكم أيها الناس ومصيركم إليه يوم القيامة **﴿فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾** أى فيخبركم بما اختلفتم فيه من الحق فيجزى الصادقين بصدقهم ويعذب الكافرين الجاحدين المكذبين بالحق العادلين عنه إلى غيره بلا دليل ولا برهان بل هم معاندون للبراهين القاطعة، والحجج البالغة والأدلة الدامغة، وقال الضحاك **﴿فاستبقوا الخيرات﴾** يعنى أمة محمد ﷺ والأول أظهر. وقوله: **﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم﴾** تأكيد لما تقدم من الأمر بذلك النهى عن خلافه. ثم قال: **﴿واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾** أى واحذر أعداءك اليهود أن يدلوا عليك الحق فيما ينهونه إليك من الأمور فلا تغتربهم فإنهم كذبة كفرة خونة **﴿فإن تولوا﴾** أى عما تحكم به بينهم من الحق وخالفوا شرع الله **﴿فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم﴾** أى فاعلم أن ذلك كائن عن قدرة الله وحكمته فيهم أن يصرفهم عن الهدى لما لهم من الذنوب السالفة التى اقتضت

(١) الشرائع ثلاثة فقط نوح وموسى ومحمد عليه الصلاة السلام.

(٢) المراد بالناس: اليهود فقط.

إضـلالهم ونكالهم **﴿وإن كثيرًا من الناس[٢] لفاسقون﴾** أى إن أكثر الناس خارجون عن طاعة ربهم مخالفون للحق ناكبون عنه كما قال تعالى **﴿وما أكثر الناس ولو حصرت بمؤمنين﴾** وقال تعالى **﴿وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾** الآية. اهـ

تفسير قوله تعالى:

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾

فى تفسير الإمام ابن كثير رضى الله عنه:

«يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء الذين اتخذوا دينكم هزوًا ولعبًا من أهل الكتاب: **﴿هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل﴾** أى هل لكم علينا مطعن أو عيب إلا هذا؟ وهذا ليس بعيب ولا مذمة. فيكون الاستثناء منقطعًا كما فى قوله تعالى **﴿وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾** وكقوله **﴿وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾** وفى الحديث المتفق عليه «ما ينقم ابن جبل إلا أن كان فقيرًا فأغناه الله» وقوله **﴿وأن أكثركم فاسقون﴾** معطوف على **﴿أن آمنا بالله وما أنزل من قبل﴾** أى وآمنا بأن أكثركم فاسقون أى خارجون عن الطريق المستقيم.

ثم قال **﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله﴾** أى هل أخبركم بشر جزاء عند الله يوم القيامة مما تظنونه بنا؟ وهم أنتم الذين هم متصفون بهذه الصفات المفسرة بقوله **﴿من لعنه الله﴾** أى أبعده من رحمته **﴿وغضب عليه﴾** أى غضبًا لا يرضى بعده أبدًا **﴿وجعل منهم القردة والخنازير﴾** كما تقدم بيانه فى سورة البقرة وكما سيأتى إيضاحه فى سورة الأعراف وقد قال سفيان الثورى عن علقمة بن يزيد عن المغيرة بن عبدالله عن المعرور بن

سويد عن ابن مسعود قال سئل رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير أهى مما مسخ الله فقال «إن الله لم يهلك قومًا أو قال لم يمسخ قومًا فيجعل لهم نسلاً ولا عقبًا وإن القردة والخنازير كانت قبل ذلك» وقد رواه مسلم من حديث سفيان الثورى ومسعر كلاهما عن مغيرة بن عبدالله اليشكرى به، وقال أبو داود الطيالسى حدثنا داود بن أبى الفرات عن محمد بن زيد عن أبى الأعين المعبدى عن أبى الأحوص عن ابن مسعود قال سألنا رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير أهى من نسل اليهود فقال «لا، إن الله لم يلعن قومًا قط فيمسخهم فكان لهم نسل ولكن هذا خلق كان فلما غضب الله على اليهود فمسخهم جعلهم مثلهم» ورواه أحمد من حديث داود بن أبى الفرات به، وقال ابن مردويه حدثنا عبد الباقى حدثنا أحمد بن إسحق بن صالح حدثنا الحسن بن محبوب حدثنا عبد العزيز بن المختار عن داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ «الحيات مسخ الجن كما مسخت القردة والخنازير» هذا حديث غريب جدًا، وقوله تعالى ﴿**وعبد الطاغوت**﴾ قرئ وعبد الطاغوت على أنه فعل ماض والطاغوت منصوب به أى وجعل منهم من عبد الطاغوت وقرئ وعبد على أنه جمع لجمع عبد وعبيد وعبد مثل ثمار وثمر حكاها ابن جرير عن الأعمش وحكى عن بريدة الأسلمى أنه كان يقرأها وعابد الطاغوت على أنه مفعول ما لم يسم فاعله ثم استبعد معناها والظاهر أنه لا بعد فى ذلك لأن هذا من باب التعريض بهم أى وقد عبدت الطاغوت فيكم وأنتم الذين فعلتموه وكل هذه القرآت يرجع معناها إلى أنكم يا أهل الكتاب الطاعنين فى ديننا الذى هو توحيد الله وإفراده بالعبادات دون ما سواه كيف يصدر منكم هذا وأنتم قد وجد منكم جميع ما ذكر ولهذا قال ﴿**أولئك شر مكانًا وأضل عن سواء السبيل**﴾ وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس فى الطرف الآخر مشاركة كقوله عز وجل ﴿**أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًا وأحسن مقيلا**﴾. اهـ



لعنة الله على اليهود
فى الزبور

اعلم: أن سفر الزبور كله هو عن محمد ﷺ بمعنى: أن الله تعالى قدّر وجود محمد، وقدر أنه يتكلم بصفاته وأحواله، وأوحى إلى داود عليه السلام بكل الكلام الذى تكلم به محمد -فى الأزل- فدونه عن أمر الله فى الزبور، قطعًا قطعًا. وقد لغا اليهود فى كل زبور بوضعهم عبارات تدل على أن هذا الزبور لداود وهو هارب من وجه شاول. وهكذا لكى يُبعدوا دلالة كل مزمور على محمد ﷺ والغرض من أن الله قدر محمدا متكلما: هو أنه إذا جاء، وقال كلاما فى القرآن هو بمعناه فى الزبور، وتطابق كلامه مع ما فى الزبور. وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب؛ يعلمون أنه هو الذى تكلم داود على لسانه. وعن هذا جاء فى القرآن الكريم: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ﴾ واللاعن لهم هو محمد فى المزمور ١١٩ أى أن داود يتكلم على لسان محمد. وهذا هو نص المزمور بتمامه. وإذا تأملت فيه وجدت الحروف الأبجدية المشابهة لأوائل السور القرآنية المبدوءة بالحروف، ووجدت كل المعانى التى فيه موجودة فى القرآن الكريم:

النص:

المزمور المئة والتاسع عشر

أ

طوبى للكاملين طريقًا السالكين فى شريعة الرب. طوبى لحافظى شهاداته. من كل قلوبهم يطلبونه. أيضًا لا يرتكبون إثمًا. فى طرقه يسلكون. أنت أوصيت بوصاياك أن تحفظ تمامًا. ليت طرقى تثبت فى حفظ فرائضك. حينئذ لا أخزى إذا نظرت إلى كل وصاياك. أحمدك باستقامة قلب عند تعلمى أحكام عدلك. وصاياك أحفظ. لا تتركنى إلى الغاية.

ب

بم يزكى الشاب طريقه. بحفظه إياه حسب كلامك. بكل قلبى طلبتك. لا تضلنى عن وصاياك. خبأت كلامك فى قلبى لكيلا أخطئ إليك. مبارك أنت يا رب علمنى فرائضك. بشفتى حسبت كل أحكام فمك. بطريق شهاداتك فرحت كما على كل الغنى. بوصاياك ألهج وألاحظ سبلك. بفرائضك أتلذذ. لا أنسى كلامك.

ج

أحسن إلى عبدك فأحيا وأحفظ أمرك. اكتشف عن عينى فأرى عجائب من شريعتك. غريب أنا فى الأرض. لا تخف عنى وصاياك. انسحقت نفسى شوقًا إلى أحكامك فى كل حين. انتهرت المتكبرين الملاعين الضالين عن وصاياك. دحرج عنى العار والإهانة لأنى حفظت شهاداتك. جلس أيضًا رؤساء تقاولوا علىّ. أما عبدك فيناجى بفرائضك. أيضًا شهاداتك هى لذتى أهل مشورتى.

د

لصقت بالتراب نفسى فأحينى حسب كلمتك. قد صرحت بطرقى فاستجبت لى. علمنى فرائضك. طريق وصاياك فهمنى فأناجى بعجائبك. قطرت نفسى من الحزن. أقمنى حسب كلامك. طريق الكذب أبعد عنى وبشريعتك ارحمنى. اخترت طريق الحق. جعلت أحكامك قدامى. لصقت بشهاداتك. يا رب لا تخزنى. فى طريق وصاياك أجرى لأنك ترحب قلبى.

هـ

علمنى يا رب طريق فرائضك فأحفظها إلى النهاية. فهمنى فألاحظ شريعتك وأحفظها بكل قلبى. دربنى فى سبيل وصاياك لأنى به سررت. أمل قلبى إلى شهاداتك لا إلى المكسب. حول عينى عن النظر إلى الباطل. فى طريقك أحينى. أقم لعبدك قولك الذى لمتقيك. أزل عارى الذى حذرت منه

لأن أحكامك طيبة. هأنذا قد اشتهيت وصاياك. بعدلك أحينى.

و

لتأتنى رحمتك يا رب خلاصك حسب قولك. فأجاوب معيرى كلمة. لأنى اتكلت على كلامك. ولا تنزع من فمى كلام الحق كل النزع لأنى انتظرت أحكامك. فأحفظ شريعتك دائمًا إلى الدهر والأبد. وأتمشى فى رحب لأنى طلبت وصاياك. وأتكلم بشهاداتك قدام ملوك ولا أخزى. وأتلذذ بوصاياك التى أحببت. وأرفع يدى إلى وصاياك التى وددت وأناجى بفرائضك.

ز

اذكر لعبدك القول الذى جعلتنى أنتظره. هذه هى تعزيتى فى مذلتى. لأن قولك أحيانى. المتكبرون استهزأوا بى إلى الغاية. عن شريعتك لم أمل. تذكرت أحكامك منذ الدهر يا رب فتعزيت. الحمية أخذتنى بسبب الأشرار تاركى شريعتك. ترنيمات صارت لى فرائضك فى بيت غربتى. ذكرت فى الليل اسمك يا رب وحفظت شريعتك. هذا صار لى لأنى حفظت وصاياك.

ح

نصيبى الرب قلت لحفظ كلامك. ترضيت وجهك بكل قلبى. ارحمنى حسب قولك. تفكرت فى طرقى ورددت قدمى إلى شهاداتك. أسرعت ولم أتوان لحفظ وصاياك. حبال الأشرار التفت على. أما شريعتك فلم أنسها. فى منتصف الليل أقوم لأحمدك على أحكام برك. رفيق أنا لكل الذين يتقونك ولحافظى وصاياك. رحمتك يا رب قد ملأت الأرض. علمنى فرائضك.

ط

خيرًا صنعت مع عبدك يا رب حسب كلامك. ذوقًا صالحًا ومعرفة علمنى لأنى بوصاياك آمنت. قبل أن أذلل أنا ضللت. أما الآن فحفظت قولك. صالح أنت ومحسن علمنى فرائضك. المتكبرون قد لفقوا على كذبًا. أما أنا فبكل قلبى أحفظ وصاياك. سمن مثل الشحم قلبهم. أما أنا فبشريعتك أتلذذ. خير لى أنى تذللت لكى أتعلم فرائضك. شريعة فمك خير لى من ألوف ذهب

وفضة

ى

يداك صنعتانى وأنشأتانى. فهمنى فأتعلم وصاياك. متقوك يروننى فيفرحون لأنى انتظرت كلامك. قد علمت يا رب أن أحكامك عدل وبالحق أذللتنى. فلتصر رحمتك لتعزيتى حسب قولك لعبدك. لتأتنى مراحمك فأحيا لأن شريعتك هى لذتى. ليخز المتكبرون لأنهم زورًا افتروا على. أما أنا فأناجى بوصاياك. ليرجع إلى متقوك وعارفو شهاداتك. ليكن قلبى كاملاً فى فرائضك لكيلا أخزى.

ك

تاقت نفسى إلى خلاصك. كلامك انتظرت. كلت عيناى من النظر إلى قولك فأقول متى تعزينى. لأنى قد صرت كزق فى الدخان. أما فرائضك فلم أنسها. كم هى أيام عبدك. متى تجرى حكمًا على مضطهدى. المتكبرون قد كروا لى حفائر. ذلك ليس حسب شريعتك. كل وصاياك أمانة. زورًا يضطهدوننى. أعنى لولا قليل لأفنونى من الأرض. أما أنا فلم أترك وصاياك. حسب رحمتك أحينى فأحفظ شهادات فمك.

ل

إلى الأبد يا رب كلمتك مثبتة فى السموات. إلى دور فدور أمانتك. أسست الأرض فثبتت. على أحكامك ثبتت اليوم لأن الكل عبيدك. لو لم تكن شريعتك لذتى لهلكت حينئذ فى مذلتى. إلى الدهر لا أنسى وصاياك لأنك بها أحييتنى. لك أنا فخلصنى لأنى طلبت وصاياك. إياى انتظر الأشرار ليهلكونى. بشهاداتك أفطن. لكل كمال رأيت حدا. أما وصيتك فواسعة جدا.

م

كم أحببت شريعتك. اليوم كله هى لهجى. وصيتك جعلتنى أحكم من أعدائى لأنها إلى الدهر هى لى. أكثر من كل معلمى تعقلت لأن شهاداتك هى

لهجى. أكثر من الشيوخ فطنت لأنى حفظت وصاياك. من كل طريق شر منعت رجلى لكى أحفظ كلامك. عن أحكامك لم أمل لأنك أنت علمتنى. ما أحلى قولك لحنكى أحلى من العسل لفمى. من وصاياك أتفطن. لذلك أبغضت كل طريق كذب.

ن

سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلى. حلفت فأبره أن أحفظ أحكام برك. تذللت إلى الغاية. يا رب أحينى حسب كلامك. أرتض بمندوبات فمى يا رب وأحكامك علمنى. نفسى دائمًا فى كفى. أما شريعتك فلم أنسها. الأشرار وضعوا لى فخا. أما وصاياك فلم أضل عنها. ورثت شهاداتك إلى الدهر لأنها هى بهجة قلبى. عطفت قلبى لأصنع فرائضك إلى الدهر إلى النهاية.

س

المتقلبين أبغضت وشريعتك أحببت. سترى ومجنى أنت. كلامك انتظرت. انصرفوا عنى أيها الأشرار فأحفظ وصايا إلهى. اعضدنى حسب قولك فأحيا ولا تخزنى من رجائى. أسندنى فأخلص وأراعى فرائضك دائمًا. احتقرت كل الضالين عن فرائضك لأن مكرهم باطل. كزغل عزلت كل أشرار الأرض. لذلك أحببت شهاداتك. قد اقشعر لحمى من رعبك ومن أحكامك جزعت.

ع

أجريت حكمًا وعدلاً. لا تسلمنى إلى ظالمى. كن ضامن عبدك للخير لكيلا يظلمنى المستكبرون. كلت عيناى اشتياقًا إلى خلاصك وإلى كلمة برك. اصنع مع عبدك حسب رحمتك وفرائضك علمنى. عبدك أنا. فهمنى فأعرف شهاداتك. إنه وقت عمل للرب. قد نقضوا شريعتك. لأجل ذلك أحببت وصاياك أكثر من الذهب والإبريز. لأجل ذلك حسبت كل وصاياك فى كل شىء مستقيمة. كل طريق كذب أبغضت.

ف

عجيبة هى شهاداتك لذلك حفظتها نفسى. فتح كلامك ينير يعقل الجهال. فغرت فمى ولهثت لأنى إلى وصاياك اشتقت. التفت إلى وارحمنى كحق محبى اسمك. ثبت خطواتى فى كلمتك ولا يتسلط على إثم. افدنى من ظلم الإنسان فأحفظ وصاياك. أضئ بوجهك على عبدك وعلمنى فرائضك. جداول مياه جرت من عينى لأنهم لم يحفظوا شريعتك.

ص

بار أنت يا رب وأحكامك مستقيمة. عدلاً أمرت بشهاداتك وحقًا إلى الغاية. أهلكتنى غيرتى لأن أعدائى نسوا كلامك. كلمتك ممحصة جدا وعبدك أحبها. صغير أنا وحقير. أما وصاياك فلم أنسها. عدلك عدل إلى الدهر وشريعتك حق. ضيق وشدة أصابانى أما وصاياك فهى لذاتى. عادلة شهاداتك إلى الدهر فهمنى فأحيا.

ق

صرخت من كل قلبى. استجب لى يا رب. فرائضك أحفظ. دعوتك. خلصنى فأحفظ شهاداتك. تقدمت فى الصبح وصرخت. كلامك انتظرت. تقدمت عيناى الهزع لكى ألهج بأقوالك. صوتى استمع حسب رحمتك. يا رب حسب أحكامك أحينى. اقترب التابعون الرذيلة. عن شريعتك بعدوا. قريب أنت يا رب وكل وصاياك حق. منذ زمان عرفت من شهاداتك أنك إلى الدهر أسستها.

ر

انظر إلى ذلى وأنقذنى لأنى لم أنس شريعتك. أحسن دعواى وفكنى. حسب كلمتك أحينى. الخلاص بعيد عن الأشرار لأنهم لم يلتمسوا فرائضك.

كثيرة هى مراحمك يا رب. حسب أحكامك أحينى. كثيرون مضطهدى ومضايقى. أما شهاداتك فلم أمل عنها. رأيت الغادرين ومقت لأنهم لم يحفظوا كلمتك. انظر أنى أحببت وصاياك. يا رب حسب رحمتك أحينى. رأس كلامك حق وإلى الدهر كل أحكام عدلك.

ش

رؤساء اضطهدونى بلا سبب. ومن كلامك جزع قلبى. أبتهج أنا بكلامك كمن وجد غنيمة وافرة. أبغضت الكذب وكرهته. أما شريعتك فأحببتها. سبع مرات فى النهار سبحتك على أحكام عدلك. سلامة جزيلة لمحبى شريعتك وليس لهم معثرة. رجوت خلاصك يا رب ووصاياك عملت. حفظت نفسى شهاداتك وأحبها جدًا. حفظت وصاياك وشهاداتك لأن كل طرقى أمامك.

ت

ليبلغ صراخى إليك يا رب. حسب كلامك فهمنى. لتدخل طلبتى إلى حضرتك. ككلمتك نجنى. تنبع شفتاى تسبيحًا إذا علمتنى فرائضك. يغنى لسانى بأقوالك لأن كل وصاياك عدل. لتكن يدك لمعونتى لأننى اخترت وصاياك. اشتقت إلى خلاصك يا رب وشريعتك هى لذتى. لتحى نفسى وتسبحك وأحكامك لتعنى. ضللت كشاة ضالة. اطلب عبدك لأنى لم أنس وصاياك» (مزمور ١١٩).



تفسير قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة ٩-١٠)

«إنما سميت الجمعة جمعة لأنها مشتقة من الجمع فإن أهل الإسلام يجتمعون فيه فى كل أسبوع مرة بالمعابد الكبار وفيه كمل جميع الخلائق فإنه اليوم السادس من الستة التى خلق الله فيها السموات والأرض وفيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل فيها الله خيرًا إلا أعطاه إياه كما ثبتت بذلك الأحاديث الصحاح. وقال ابن أبى حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عبدة بن حميد عن منصور عن أبى معشر عن إبراهيم عن علقمة عن قرثع الضبى حدثنا سلمان قال قال أبو القاسم ﷺ «يا سلمان ما يوم الجمعة؟» قلت الله ورسوله أعلم فقال رسول الله ﷺ يوم الجمعة يوم جمع الله فيه أبواكم أو أبوكم» وقد روى عن أبى هريرة من كلامه نحو هذا فالله أعلم، وقد كان يقال له فى اللغة القديمة يوم العروبة، وثبت أن الأمم قبلنا أمروا به فضلوا عنه، واختار اليهود يوم السبت الذى لم يقع فيه خلق آدم، واختار النصارى يوم الأحد الذى ابتدئ فيه الخلق، واختار الله لهذه الأمة يوم الجمعة الذى أكمل الله فيه الخليقة كما أخرجه البخارى ومسلم من حديث عبد الرازق عن معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم إن هذا يومهم الذى فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع، واليهود غدًا والنصارى بعد غد» لفظ البخارى وفى لفظ لمسلم «أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضى بينهم قبل الخلائق» وقد أمر الله المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم الجمعة فقال تعالى **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله﴾** أى اقصدوا واعمدوا واهتموا فى سيركم إلينا، وليس المراد بالسعى ههنا المشى السريع وإنما هو الاهتمام بها كقوله تعالى **﴿ومن أراد الآخر سعى**

لها سعيها وهو مؤمن﴾ وكان عمر بن الخطاب وابن مسعود رضى الله عنهما يقرآنها «فامضوا فى ذكر الله» فأما المشى السريع إلى الصلاة فقد نهى عنه لما أخرجاه فى الصحيحين عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال «إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما كنتم فصلوا وما فاتكم فأتموا» لفظ البخارى وعن أبى قتادة قال: بينما نحن نصلى مع النبى ﷺ إذ مع جلبة رجال فلما صلى قال «ما شأنكم؟» قالوا استعجلنا إلى الصلاة قال «فلا تفعلوا: إذا أتيتم الصلاة فامشوا وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا». أخرجاه وقال عبد الرازق أخبرنا معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ولكن ائتوها تمشون وعليكم السكينة والوقار فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا» رواه الترمذى من حديث عبد الرازق كذلك وأخرجه من طريق يزيد بن زريع عن معمر عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة بمثله، قال الحسن أما والله ما هو بالسعى على الأقدام ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع. وقال قتادة فى قوله **﴿فاسعوا إلى ذكر الله﴾** يعنى أن تسعى بقلبك وعملك وهو المشى إليها وكان يتأول قوله تعالى **﴿فلما بلغ معه السعى﴾** أى المشى معه، وروى عن محمد بن كعب وزيد بن أسلم وغيرهما نحو ذلك.

ويستحب لمن جاء إلى الجمعة أن يغتسل قبل مجيئه إليها لما ثبت فى الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال «إذا جاء أحدكم إلى الجمعة فليغتسل» ولهما عن أبى سعيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم «حق لله على كل مسلم أن يغتسل فى كل سبعة أيام، يغسل رأسه وجسده» رواه مسلم، وعن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «على كل رجل مسلم فى سبعة أيام غسل يوم وهو يوم الجمعة» رواه أحمد والنسائى وابن حبان.

وقال الإمام أحمد حدثنا يحى بن آدم حدثنا ابن المبارك عن الأوزاعى

عن حسان بن عطية عن أبى الأشعث الصنعانى عن أوس بن أوس الثقفى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «من غسل واغتسل يوم الجمعة وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الإمام واستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة أجر سنة صيامها وقيامها» وهذا الحديث له طرق وألفاظ وقد أخرجه أهل السنن الأربعة وحسنه الترمذى، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشًا أقرن، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر» أخرجاه.

ويستحب له أن يلبس أحسن ثيابه ويتطيب ويتسوك ويتنظف ويتطهر وفى حديث أبى سعيد المتقدم «غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم والسواك وأن يمس فى طيب أهله».

وقال الإمام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبى عن محمد بن إسحاق حدثنى محمد بن إبراهيم التيمى عن عمران بن أبى يحيى عن عبدالله بن كعب بن مالك عن أبى أيوب الأنصارى سمعت رسول الله ﷺ يقول من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب أهله إن كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتى المسجد فيركع إن بداله ولم يؤذ أحدًا ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يصلى كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى، وفى سنن أبى داود وابن ماجه عن عبدالله بن سلام رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول على المنبر «ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبى مهنته وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم الجمعة فرأي عليهم ثياب النمار فقال «ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين لجمعته سوى ثوبى مهنته» رواه ابن ماجه. وقوله تعالى ﴿**إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة**﴾ المراد بهذا النداء هو النداء الثانى الذى كان يفعل بين يدى رسول

الله ﷺ إذا خرج فجلس على المنبر فإنه كان حينئذ يؤذن بين يديه فهذا هو المراد فأما النداء الأول الذى زاده أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه فإنما كان هذا لكثرة الناس كما رواه البخارى رحمه الله حيث قال: حدثنا آدم هو ابن أبى إياس حدثنا ابن أبى إياس حدثنا ابن أبى ذئب عن الزهرى عن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر فلما كان عثمان بعد زمن وكثر الناس زاد النداء الثانى على الزوراء يعنى يؤذن به على الدار التى تسمى الزوراء وكانت أرفع دار بالمدينة بقرب المسجد. وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو نعيم حدثنا إبراهيم حدثنا محمد بن راشد المكحول عن مكحول أن النداء كان فى الجمعة مؤذن واحد حين يخرج الإمام ثم تقام الصلاة وذلك النداء الذى يحرم عنده الشراء والبيع إذا نودى به، فأمر عثمان رضى الله عنه أن ينادى قبل خروج الإمام حتى يجتمع الناس. وإنما يؤمر بحضور الجمعة الرجال الأحرار دون العبيد والنساء والصبيان ويعذر المسافر والمريض وقيم المريض وما أشبه ذلك من الأعذار كما هو مقرر فى كتب الفروع.

وقوله تعالى ﴿**وذروا البيع**﴾ أى اسعوا إلى ذكر الله واتركوا البيع إذا نودى للصلاة ولهذا اتفق العلماء رضى الله عنهم على تحريم البيع بعد النداء الثانى، واختلفوا هل يصح إذا تعاطاه متعاط أم لا؟ على قولين وظاهر الآية عدم الصحة كما هو مقرر فى موضعه والله أعلم. وقوله تعالى ﴿**ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾ أى تركم البيع وإقبالكم إلى ذكر الله وإلى الصلاة خير لكم أى فى الدنيا والآخرة إن كنتم تعلمون. وقوله تعالى ﴿**فإذا قضيت الصلاة**﴾ أى فرغ منها ﴿**فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله**﴾ لما حجر عليهم فى التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع أذن لهم بعد الفراغ فى الانتشار فى الأرض والابتغاء من فضل الله كما كان عراك بن مالك رضى الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال: اللهم إنى أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتنى فارزقنى من فضلك وأنت خير

الرازقين رواه ابن أبى حاتم.

وروى عن بعض السلف أنه قال: من باع واشترى فى يوم الجمعة بعد الصلاة بارك الله له سبعين مرة لقول الله تعالى **﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله﴾** وقوله تعالى **﴿واذكروا الله كثيرًا لعلكم تفلحون﴾** أى حال بيعكم وشرائكم وأخذكم وإعطائكم اذكروا الله ذكرًا كثيرًا ولا تشغلكم الدنيا عن الذى ينفعكم فى الدار الآخرة.

ولهذا جاء فى الحديث «من دخل سوقًا من الأسواق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة» وقال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرًا حتى يذكر الله قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾

يعاتب تبارك وتعالى على ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التى قدمت المدينة يومئذ فقال تعالى **﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوًا انفضوا إليها وتركوك قائمًا﴾** أى على المنبر تخطب، هكذا ذكره غير واحد من التابعين منهم أبو العالية والحسن وزيد بن أسلم وقتادة، وزعم مقاتل بن حيان أن التجارة كانت لدحية بن خليفة قبل أن يسلم وكان معها طبل فانصرفوا إليها وتركوا رسول الله ﷺ قائمًا على المنبر إلا القليل منهم وقد صح بذلك الخبر فقال الإمام أحمد حدثنا ابن إدريس عن حصين عن سالم بن أبى الجعد عن جابر قال: قدمت عير مرة المدينة ورسول الله ﷺ يخطب فخرج الناس وبقى اثنا عشر رجلاً فنزلت ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوًا انفضوا إليها﴾ أخرجاه فى الصحيحين من حديث سالم به.

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا هشيم عن حصين عن سالم بن أبى الجعد وأبى سفيان عن جابر بن عبدالله قال: بينما

النبى صلى الله عليه وآله وسلم يخطب يوم الجمعة فقدمت عير إلى المدينة فابتدرها أصحاب رسول الله ﷺ حتى لم يبق مع رسول الله ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً فقال رسول الله ﷺ «والذى نفسى بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادى نارًا» ونزلت هذه الآية **﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوًا انفضوا إليها وتركوك قائما﴾** وقال كان فى الاثنى عشر الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر رضى الله عنهما، وفى قوله تعالى **﴿وتركوك قائمًا﴾** دليل على أن الإمام يخطب يوم الجمعة قائمًا.

وقد روى مسلم فى صحيحه عن جابر بن سمرة قال: كانت للنبى صلى الله عليه وآله وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس، ولكن ههنا شىء ينبغى أن يعلم وهو: أن هذه القصة قد قيل إنها كانت لما كان رسول الله ﷺ يقدم الصلاة يوم الجمعة على الخطبة كما رواه أبو داود فى كتاب المراسيل حدثنا محمود بن خالد عن الوليد أخبرنى أبو معاذ بكير بن معروف أنه سمع مقاتل بن حيان يقول كان رسول الله ﷺ يصلى يوم الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين حتى إذا كان يوم والنبى ﷺ يخطب وقد صلى الجمعة فدخل رجل فقال إن دحية بن خليفة قد قدم بتجارة. يعنى فانفضوا ولم يبق معه إلا نفر يسير وقوله تعالى **﴿قل ما عند الله﴾** أى الذى عند الله من الثواب فى الدار الآخرة **﴿خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين﴾** أى لمن توكل عليه وطلب الرزق فى وقته» اهـ

الفصل الثالث
فى
نصوص من الإنجيل
عن يوم السبت

النص الأول:

فى الأصحاح السادس من إنجيل لوقا:

«وفى السبت الثانى بعد الأول اجتاز بين الزروع. وكان تلاميذه يقطفون السنابل ويأكلون وهم يفركونها بأيديهم. فقال لهم قوم من الفريسيين لماذا تفعلون ما لا يحل فعله فى السبوت. فأجاب يسوع وقال لهم أما قرأتم ولا هذا الذى فعله داود حين جاع هو والذين كانوا معه. كيف دخل بيت الله وأخذ خبز التقدمة وأكل وأعطى الذين معه أيضًا. الذى لا يحل أكله إلا للكهنة فقط. وقال لهم إن ابن الإنسان هو رب السبت أيضًا.

وفى سبت آخر دخل المجمع وصار يعلم. وكان هناك رجل يده اليمنى يابسة. وكان الكتبة والفريسيون يراقبونه هل يشفى فى السبت لكى يجدوا عليه شكاية. أما هو فعلم أفكارهم وقال للرجل الذى يده يابسة قم وقف فى الوسط. فقام ووقف. ثم قال لهم يسوع أسألكم شيئًا. هل يحل فى السبت فعل الخير أو فعل الشر. تخليص نفس أو إهلاكها. ثم نظر حوله إلى جميعهم وقال للرجل مد يدك. ففعل هكذا. فعادت يده صحيحة كالأخرى. فامتلأ واحمقًا وصاروا يتكالمون فيما بينهم ماذا يفعلون بيسوع.

وفى تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلى. وقضى الليل له فى الصلوة لله. ولما كان النهار دعا تلاميذه واختار منهم اثنى عشر الذين سماهم أيضًا رسلاً. سمعان الذى سماه أيضًا بطرس وأندراوس أخاه. يعقوب ويوحنا. فيلبس وبرثولماتوس. متى وتوما. يعقوب بن حلفي وسمعان الذى يدعى الغيور. يهوذا أخا يعقوب ويهوذا الإسخريوطى الذى صار مسلمًا أيضًا.

ونزل معهم ووقف فى موضع سهل هو وجمع من تلاميذه وجمهور كثير من الشعب من جميع اليهودية وأورشليم وساحل صور وصيداء الذين جاءوا ليسمعوه ويشفوا من أمراضهم. والمعذبون من أرواح نجسة. وكانوا يبرأون. وكل الجمع طلبوا أن يلمسوه لأن قوة كانت تخرج منه وتشفى الجميع.

ورفع عينيه إلى تلاميذه وقال طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله. طوباكم أيها الجياع الآن لأنكم تشبعون. طوباكم أيها الباكون الآن لأنكم ستضحكون. طوباكم إذا أبغضكم الناس وإذا أفرزوكم وعيروكم وأخرجوا اسمكم كشرير من أجل ابن الإنسان. افرحوا فى ذلك اليوم وتهللوا. فهوذا أجركم عظيم فى السماء. لأن آباءهم هكذا كانوا يفعلون بالأنبياء. ولكن ويل لكم أيها الأغبياء. لأنكم قد نلتم عزاءكم. ويل لكم أيها الشباعى لأنكم ستجوعون. ويل لكم أيها الضاحكون الآن لأنكم ستحزنون وتبكون. ويل لكم إذا قال فيكم جميع الناس حسنًا. لأنه هكذا كان آباؤهم يفعلون بالأنبياء الكذبة.

لكنى أقول لكم أيها السامعون أحبوا أعداءكم. أحسنوا إلى مبغضيكم. باركوا لاعنيكم. وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم. من ضربك على خدك فاعرض له الآخر أيضًا. ومن أخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك أيضًا. وكل من سألك فأعطه. ومن أخذ الذى لك فلا تطالبه. وكما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضًا بهم هكذا. وإن أحببتم الذين يحبونكم فأى فضل لكم. فإن الخطاة أيضًا يحبون الذين يحبونهم. وإذا أحسنتم إلى الذين يحسنون إليكم فأى فضل لكم. فإن الخطاة أيضًا يفعلون هكذا. وإن أقرضتم الذين ترجون أن تستردوا منهم فأى فضل لكم. فإن الخطاة أيضًا يقرضون الخطاة

لكى يستردوا منهم المثل. بل أحبوا أعداءكم وأحسنوا وأقرضوا وأنتم لا ترجون شيئًا فيكون أجركم عظيمًا وتكونوا بنى العلى فإنه منعم على غير الشاكرين والأشرار. فكونوا رحماء كما أن أباكم أيضًا رحيم. ولا تدينوا فلا تدانوا. لا تقضوا على أحد فلا يقضى عليكم. اغفروا يغفر لكم. أعطوا تعطوا. كيلاً جيدًا ملبدًا مهزوزًا فائضًا يعطون فى أحضانكم. لأنه بنفس الكيل الذى به تكيلون يكال لكم. وضرب لهم مثلاً. هل يقدر أعمى أن يقود أعمى. أما يسقط الاثنان فى حفرة. ليس التلميذ أفضل من معلمه. بل كل من صار كاملاً يكون مثل معلمه. لماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك. وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفطن لها. أو كيف تقدر أن تقول لأخيك يا أخى دعنى أخرج القذى الذى فى عينك. وأنت لا تنظر الخشبة التى فى عينك. يا مرائى أخرج أولاً الخشبة من عينك وحينئذ تبصر جيدًا أن تخرج القذى الذى فى عين أخيك. لأنه ما من شجرة جيدة تثمر ثمرًا رديًا. ولا شجرة ردية تثمر ثمرًا جيدًا. لأن كل شجرة تعرف من ثمرها. فإنهم لا يجتنون من الشوك تينًا ولا يقطفون من العليق عنبًا. الإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح. والإنسان الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشر. فإنه من فضلة القلب يتكلم فمه. ولماذا تدعوننى يا رب يا رب وأنتم لا تفعلون ما أقوله. كل من يأتى إلى ويسمع كلامى ويعمل به أريكم من يشبه. يشبه إنسانًا بنى بيتًا وحفر وعمق ووضع الأساس على الصخر. فلما حدث سيل صدم النهر ذلك البيت فلم يقدر أن يزعزعه لأنه كان مؤسسًا على الصخر. وأما الذى يسمع ولا يعمل فيشبه إنسانًا بنى بيته على الأرض من دون أساس. فصدمه النهر فسقط حالاً وكان خراب ذلك البيت عظيمًا» (لوقا ٦).

النص الثانى:

وهو نص يذكر أصحاب القرية فى سورة يس.

«وكان فى أنطاكية فى الكنيسة هناك أنبياء ومعلمون برنابا وسمعان الذى يدعى نيجر ولوكيوس القيروانى ومناين الذى تربى مع هيرودس رئيس

الربع وشاول. وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس أفرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه. فاصموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الأيادى ثم أطلقوهما.

فهذان إذ أرسلا من الروح انحدرا إلى سلوكية ومن هناك سافرا فى البحر إلى قبرس. ولما صارا فى سلاميس ناديا بكلمة الله فى مجامع اليهود. وكان معهما يوحنا خادمًا. ولما اجتازا الجزيرة إلى بافوس وجدا رجلاً ساحرًا نبيًا كذابًا يهوديًا اسمه باريشوع. كان مع الوالى سرجيوس بولس وهو رجل فهيم. **فهذا دعا برنابا وشاول والتمس أن يسمع كلمة الله**. فقاومهما عليم الساحر. لأن هكذا يترجم اسمه. **طالبًا أن يفسد الوالى عن الإيمان.**

وأما شاول الذى هو بولس أيضًا فامتلأ من الروح القدس وشخص إليه وقال أيها الممتلئ كل غش وكل خبث يا ابن إبليس يا عدو كل بر ألا تزال تفسد سبل الله المستقيمة. فالآن هوذا يد الرب عليك فتكون أعمى لا تبصر الشمس إلى حين. ففى الحال سقط عليه ضباب وظلمة فجعل يدور ملتمسًا من يقوده بيده. **فالوالى حينئذ لما رأى ما جرى آمن مندهشًا من تعليم الرب.**

ثم أقلع من بافوس بولس ومن معه وأتوا إلى برجة بمفيلية. وأما يوحنا ففارقهم ورجع إلى أورشليم. وأما هم فجازوا من برجة وأتوا إلى أنطاكية بيسيدية ودخلوا المجمع يوم السبت وجلسوا. وبعد قراءة الناموس والأنبياء أرسل إليهم رؤساء المجمع قائلين أيها الرجال الإخوة إن كانت عندكم كلمة وعظ للشعب فقولوا. فقام بولس وأشار بيده وقال:

أيها الرجال الإسرائيليون والذين يتقون الله اسمعوا. إله شعب إسرائيل هذا اختار آباءنا ورفع الشعب فى الغربة فى أرض مصر. وبذراع مرتفعة أخرجهم منها. ونحو مدة أربعين سنة احتمل عوائدهم فى البرية. ثم أهلك سبع أمم فى أرض كنعان وقسم لهم أرضهم بالقرعة. وبعد ذلك فى نحو أربعمائة وخمسين سنة أعطاهم قضاة حتى صموئيل النبى. ومن ثم طلبوا ملكًا فأعطاهم الله شاول بن قيس رجلاً من سبط بنيامين أربعين سنة. ثم

عـزله وأقـام لهم داود ملكًا الذى شـهـد له أيضًـا إذ قـال وجـدت داود بن يسى رجـلاً حسب قلبى الذى سيصنع كل مشيئتى. من نسل هذا حسب الوعد أقام الله لإسرائيل مخلصًا يسوع. إذ سبق يوحنا فكرز قبل مجيئه بمعمودية التوبة لجميع شعب إسـرائيل. ولما صار يوحنا يكمل سعيه جعل يقول من تظنون أنى أنا. لست أنا إياه لكن هـو ذا يأتى بعدى الذى لست مستحقًا أن أحل حذاء قدميه.

أيها الرجـال الإخوة بنى جنس إبراهيم والذين بينكم يتقـون الله إليكم أرسلت كلمـة هذا الخـلاص. لأن السـاكنين فى أورشليم ورؤسـاءهم لم يعرفوا هذا. وأقول الأنبياء التى تقرأ كل سبت تمموها إذ حكموا عليه. ومع أنهم لم يجدوا علة واحدة للموت طلبوا من بيلاطس أن يقتل. ولما تمموا كل ما كتب عنه أنزلوه عن الخشبة ووضعوه فى قبر. ولكن الله أقامه من الأموات. وظهر أيامًا كثيرة للذين صعدوا معه من الجليل إلى أورشليم الذين هم شهوده عن الشعب. ونحن نبشركم بالموعد الذى صار لآبائنا إن الله قد أكمل هذا لنا نحن أولادهم إذ أقام يسوع كما هو مكتوب أيضًا فى المزمور الثانى أنت ابنى أنا اليوم ولدتك. إنه أقامه من الأموات غير عتيد أن يعود أيضًا إلى فساد فهكذا قال إنى سأعطيكم مراحم داود الصادقة. ولذلك قال أيضًا فى مزمور آخر لن تدع قدوسك يرى فسادًا. وأما الذى أقامه الله فلم ير فسادًا. فليكن معلومًا عندكم أيها الرجال الإخوة أنه بهذا ينادى لكم بغفران الخطايا. وبهذا يتبـرر كل من يؤمن من كل ما لم تقدروا أن تتبـرروا منه بناموس موسى. فانظروا لئلا يأتى عليكم ما قيل فى الأنبياء. انظروا أيها المتهاونون وتعجبوا واهلكوا لأننى عملاً أعمل فى أيامكم. عملاً لا تصدقون إن أخبركم أحد به.

وبعد ما خرج اليهود من المجمع جعل الأمم يطلبون إليهما أن يكلماهم بهذا الكلام فى السبت القادم. ولما انفضت الجماعة تبع كثيرون من اليهود والدخلاء المتعبدين بولس وبرنابا اللذين كانا يكلمانهم ويقنعانهم أن يثبتوا فى نعمة الله. وفى السبت التالى اجتمعت كل المدينة تقريبًا لتسمع كلمة الله.

فلما رأى اليهود الجموع امتلأوا غيرة وجعلوا يقاومون ما قاله بولس مناقضين ومجدفين. فجاهر بولس وبرنابا وقالا **كان يجب أن تكلموا أنتم أولاً بكلمة الله** ولكن إذ دفعتموها عنكم وحكمتم أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية. هو ذا نتوجه إلى الأمم. لأن هكذا أوصانا الرب. قد أقمتك نورًا للأمم لتكون أنت خلاصًا إلى أقصى الأرض. فلما سمع الأمم ذلك كانوا يفرحون **ويمجدون كلمة الرب.** وآمن جميع الذين كانوا معينين للحياة الأبدية. **وانتشرت كلمة الرب فى كل الكورة.** ولكن اليهود حركوا النساء المتعبدات الشريفات ووجوه المدينة وأثاروا اضطهادًا على بولس وبرنابا وأخرجوهما من تخومهم. أما هما فنفضا غبار أرجلهما عليهم وأتيا إلى إيقونية. وأما التلاميذ فكانوا يمتلئون من الفرح والروح القدس.

وحدث فى إيقونية أنهما دخلاً معًا إلى مجمع اليهود وتكلما حتى آمن جمهور كثير من اليهود واليونانيين. ولكن اليهود غير المؤمنين غروا وأفسدوا نفوس الأمم على الإخوة. فأقاما زمانًا طويلاً يجاهران بالرب الذى كان يشهد لكلمة نعمته ويعطى أن تجرى آيات وعجائب على أيديهما. **فانشق جمهور المدينة فكان بعضهم مع اليهود وبعضهم مع الرسولين. فلما حصل من الأمم واليهود مع رؤسائهم هجوم ليبغوا عليهما ويرجموهما. شعرا به فهربا إلى مدينتى ليكأونية لسترة ودربة وإلى الكورة المحيطة. وكانا هناك يبشران.**

وكان يجلس فى لسترة رجل عاجز الرجلين مقعد من بطن أمه ولم يمش قط. هذا كان يسمع بولس يتكلم. فشخص إليه وإذ رأى أن له إيمانًا ليشفى. قال بصوت عظيم قم على رجليك منتصبًا. فوثب وصار يمشى. فالجموع لما رأوا ما فعل بولس رفعوا صوتهم بلغة ليكأونية قائلين إن الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إلينا. فكانوا يدعون برنابا زفس وبولس هرمس إذ كان هو المتقدم فى الكلام. فأتى كاهن زفس الذى كان قدام المدينة بثيران وأكاليل عند الأبواب مع الجموع وكان يريد أن يذبح. فلما سمع الرسولان برنابا وبولس مزقا ثيابهما واندفعا إلى الجمع صارخين. وقائلين أيها الرجال لماذا تفعلون هذا. نحن

أيضًا بشر تحت الآم مثلكم نبشركم أن ترجعوا من هذه الأباطيل إلى الإله الحى الذى خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها. الذى فى الأجيال الماضية ترك جميع الأمم يسلكون فى طرقهم. مع أنه لم يترك نفسه بلا شاهد وهو يفعل خيرًا يعطينا من السماء أمطارًا وأزمنة مثمرة ويملأ قلوبنا طعامًا وسرورًا. وبقولهما هذا كفا الجموع بالجهد عن أن يذبحوا لهما. **ثم أتى يهود من أنطاكية وإيقونية وأقنعوا الجموع فرجموا بولس وجروه خارج المدينة ظانين أنه قد مات. ولكن إذ أحاط به التلاميذ قام ودخل المدينة وفى الغد خرج مع برنابا إلى دربة. فبشرا فى تلك المدينة وتلمذا كثيرين.** ثم رجعا إلى لسترة وإيقونية وأنطاكية **يشددان أنفس التلاميذ ويعظانهم أن يثبتوا فى الإيمان وأنه بضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت الله.** وانتخبا لهم قسوسًا فى كل كنيسة ثم صليا بأصوام واستودعاهم للرب الذى كانوا قد آمنوا به. ولما اجتازا فى بيسيدية أتيا إلى بمفيلية. **وتكلما بالكلمة** فى برجة ثم نزلا إلى أتالية. ومن هناك سافرا فى البحر إلى أنطاكية حيث كانا قد أسلما إلى نعمة الله للعمل الذى أكملاه. ولما حضرا وجمعا الكنيسة أخبرا بكل ما صنع الله معهما وأنه فتح للأمم باب الإيمان. وأقاما هناك زمانًا ليس بقليل مع التلاميذ.

وانحدر قوم من اليهودية وجعلوا يعلمون الإخوة أنه إن لم تختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا. فلما حصل لبولس وبرنابا منازعة ومباحثة ليست بقليلة معهم رتبوا أن يصعد بولس وبرنابا وأناس آخرون منهم إلى الرسول والمشايخ إلى أورشليم من أجل هذه المسلسلة. فهؤلاء بعد ما شيعتهم الكنيسة اجتازوا فى فينيقية والسامرة يخبرونهم برجوع الأمم وكانوا يسببون سرورًا عظيمًا لجميع الإخوة. ولما حضروا إلى أورشليم قبلتهم الكنيسة والرسل والمشايخ فأخبروهم بكل ما صنع الله معهم. ولكن قام أناس من الذين كانوا قد آمنوا من مذهب الفريسيين وقالوا إنه ينبغى أن يختتنوا **ويوصوا بأن يحفظوا ناموس موسى.**

فاجتمع الرسل والمشايخ لينظروا فى هذا الأمر. فبعد ما حصلت مباحثة كثيرة قام بطرس وقال لهم أيها الرجال الإخوة أنتم تعلمون أنه منذ أيام قديمة اختار الله بيننا أنه بفمى يسمع الأمم كلمة الإنجيل ويؤمنون. والله العارف القلوب شهد لهم معطيًا لهم الروح القدس كما لنا أيضًا. ولم يميز بيننا وبينهم بشىء إذ طهر بالإيمان قلوبهم. فالآن لماذا تجربون الله بوضع نير على عنق التلاميذ لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله. لكن بنعمة الرب يسوع المسيح نؤمن أن نخلص كما أولئك أيضًا. فسكت الجمهور كله. وكانوا يسمعون برنابا وبولس يحدثان بجميع ما صنع الله من الآيات والعجائب فى الأمم بواسطتهم.

وبعد ما سكتا أجاب يعقوب قائلاً أيها الرجال الإخوة اسمعونى. سمعان فقد أخبر كيف افتقد الله أولاً الأمم ليأخذ منهم شعبًا على اسمه. وهذا توافقه أقوال الأنبياء كما هو مكتوب. سأرجع بعد هذا وأبنى أيضًا خيمة داود الساقطة وأبنى أيضًا ردمها وأقيمها ثانية. لكى يطلب الباقون من الناس الرب وجميع الأمم الذين دعى اسمى عليهم يقول الرب الصانع هذا كله. معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله. لذلك أنا أرى أن لا يثقل على الراجعين إلى الله من الأمم. بل يرسل إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم. **لأن موسى منذ أجيال قديمة له فى كل مدينة من يكرز به إذ يقرأ فى المجامع كل سبت... إلخ»** (أع ١٣-١٥)

❖ ❖ ❖

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ * قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ * قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾

«يقول تعالى واضرب يا محمد لقومك الذين كذبوك **﴿مثلاً أصحاب**

القرية إذ جاءها المرسلون﴾ قال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضى الله عنهما وكعب الأحبار ووهب بن منبه: أنها مدينة أنطاكية وكان بها ملك يقال له انطيخش بن انطيخش وكان يعبد الأصنام فبعث الله تعالى إليه ثلاثة من الرسل وهم صادق وصدوق وشلوم فكذبهم. وهكذا روى عن بريدة بن الخصيب وعكرمة وقتادة والزهرى أنها أنطاكية.

وقد استشكل بعض الأئمة كونها أنطاكية بما سنذكره بعد تمام القصة إن شاء الله تعالى.

وقوله تعالى: **﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما﴾** أى بادروهما بالتكذيب **﴿فعززنا بثالث﴾** أى قويناهما وشددنا أزرهما برسول ثالث. قال ابن جريج عن وهب بن سليمان عن شعيب الحبابى قال: كان اسم الرسولين الأولين شمعون[1] ويوحنا واسم الثالث بولُس والقرية أنطاكية **﴿فقالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا﴾** أى فكيف أوحى إليكم وأنتم بشر ونحن بشر[2] فلم لا أوحى إلينا مثلكم ولو كنتم رسلاً لكنتم ملائكة وهذه شبهة كثير من الأمم المكذبة. كما أخبر الله تعالى عنهم فى قوله عز وجل: **﴿ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا﴾** أى استعجبوا من ذلك وأنكروه، وقوله تعالى: **﴿قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فائتونا بسلطان مبين﴾** وقوله تعالى حكاية عنهم فى قوله تعالى: **﴿ولئن أطعتم بشرًا مثلكم إنكم إذًا لخاسرون﴾** وقوله تعالى: **﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرًا رسولاً؟﴾** ولهذا قال هؤلاء: **﴿ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شىء إن أنتم إلا تكذبون، قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون﴾** أى أجابتهم رسلهم الثلاثة قائلين: الله يعلم أنا رسله إليكم، ولو كنا كذبة عليه؛ لانتقم منا أشد الأنتقام ولكنه سيعزنا وينصرنا عليكم وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار كقوله تعالى: **﴿قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدًا يعلم ما فى السموات وما فى الأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون﴾** - **﴿وما علينا إلا البلاغ المبين﴾** يقولون إنما علينا أن نبلغكم ما

(١) فى الإنجيل برنابا بدل شمعون.

(٢) الأصح: وأنتم يهود مثلنا على ديننا.

أرسلنا به إليكم. فإذا أطعتم كانت لكم السعادة فى الدنيا والأخرى وإن لم تجيبوا فستعلمون غب ذلك. والله أعلم.

﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾

فعند ذلك قال لهم أهل القرية **﴿إنا تطيرنا[1] بكم﴾** أى لم نر على وجهكم خيرًا فى عيشنا. وقال قتادة يقولون: إن أصابنا شر فإنما هو من أجلكم. وقال مجاهد يقولون: لم يدخل مثلكم إلى القرية إلا عذاب أهلها **﴿لئن لم تنتهوا لنرجمنكم﴾** قال قتادة: بالحجارة، وقال مجاهد: بالشتم **﴿وليمسنكم منا عذاب أليم﴾** أى عقوبة شديدة، فقالت لهم رسلهم: **﴿طائركم معكم﴾** أى مردود عليكم. كقوله تعالى فى قوم فرعون: **﴿فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه. ألا إنما طائرهم عند الله﴾** وقال قوم صالح: **﴿اطيرنا بك وبمن معك. قال: طائركم عند الله﴾** وقال قتادة ووهب بن منبه: أى أعمالكم معكم، وقال عز وجل: **﴿وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا﴾** وقوله تعالى: **﴿أئن ذكرتم؟ بل أنتم قوم مسرفون﴾** أى من أجل أنا ذكرناكم[2] وأمرناكم بتوحيد الله وإخلاص العبادة له؛ قابلتمونا بهذا الكلام وتوعدتمونا وتهددتمونا. بل أنتم قوم مسرفون. وقال قتادة: أى إن ذكرناكم بالله؛ تطيرتم منا؟ بل أنتم قوم مسرفون.

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ * وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ

---

(١) التطير من أعمال السحر، والمراد أنتم سحرة مثلنا. وذلك لأنه الذى قاومهم كان ساحرا يهوديا.

(٢) ذكروهم بالتوراة التى فيها كلام عن محمد ﷺ.

مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنقِذُونِ * إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ * إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾

قال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضى الله عنهما وكعب الأحبار ووهب بن منبه: أن أهل القرية هموا بقتل رسلهم فجاءهم رجل من أقصى المدينة يسعى أى لينصرهم من قومه. قالوا: وهو حبيب. وكان يعمل الحرير وهو الحبّاك. وكان رجلاً سقيمًا قد أسرع فيه الجذام، وكان كثير الصدقة يتصدق بنصف كسبه، مستقيم الفطرة، وقال ابن إسحاق عن رجل سماه عن الحكم عن مقسم أو مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: اسم صاحب يس حبيب. وكان الجذام قد أسرع فيه. وقال الثورى عن عاصم الأحول عن أبى مجلز: كان اسمه حبيب بن سرى. وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: اسم صاحب يس حبيب النجار، فقتله قومه. وقال السدى: كان قصارًا. وقال عمر بن الحكم: كان إسكافًا. وقال قتادة: كان يتعبد فى غار هناك **﴿قال يا قوم اتبعوا المرسلين﴾** يحض قومه على اتباع الرسل الذين أتوهم **﴿اتبعوا من لا يسألكم أجرًا﴾** أى على إبلاغ الرسالة **﴿وهم مهتدون﴾** فيما يدعونكم إليه من عبادة الله وحده لا شريك له **﴿وما لى لا أعبد الذى فطرنى﴾**؟ أى وما يمنعنى من إخلاص العبادة للذى خلقنى وحده لا شريك له **﴿وإليه ترجعون﴾** أى يوم المعاد فيجازيكم على أعمالكم، إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر **﴿أأتخذ من دونه آلهة﴾**؟ استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع **﴿إن يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئًا ولا ينقذون﴾** أى هذه الآلهة التى تعبدونها من دونه لا يملكون من الأمر شيئًا. فإن الله تعالى لو أرادنى بسوء **﴿فلا كاشف له إلا هو﴾** وهذه الأصنام لا تملك دفع ذلك ولا منعه ولا ينقذوننى مما أنا فيه **﴿إنى إذًا لفى ضلال مبين﴾** أى إن اتخذتها آلهة من دون الله، وقوله تعالى: **﴿إنى آمنت بربكم فاسمعون﴾** قال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضى الله عنهما وكعب ووهب يقول لقومه **﴿إنى آمنت بربكم﴾** الذى كفرتم به **﴿فاسمعون﴾** أى فاسمعوا قولى، ويحتمل أن يكون

خطابه للرسل بقوله: **﴿إنى آمنت بربكم﴾** أى الذى أرسلكم **﴿فاسمعون﴾** أى فاشهدوا لى بذلك عنده. وقد حكاه ابن جرير قال: وقال آخرون: بل خاطب بذلك الرسل وقال لهم: اسمعوا قولى لتشهدوا لى بما أقول لكم عند ربى إنى آمنت بربكم واتبعتكم. وهذا القول الذى حكاه عن هؤلاء أظهر فى المعنى. والله أعلم.

قال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضى الله عنهما وكعب ووهب رضى الله عنهم: فلما قال ذلك وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يكن له أحد يمنع عنه، وقال قتادة: جعلوا يرجمونه بالحجارة. وهو يقول: اللهم اهد قومى؛ فإنهم لا يعلمون. فلم يزالوا به حتى أقعصوه. وهو يقول كذلك. فقتلوه -رحمه الله-

﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ * وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ * إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾

قال محمد بن إسحاق عن بعض أصحابه عن ابن مسعود رضى الله عنه: أنهم وطئوه بأرجلهم حتى خرج قصة من دبره وقال الله له: **﴿ادخل الجنة﴾** فدخلها فهو يرزق فيها. قد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها ونَصَبها. وقال مجاهد: قيل لحبيب النجار: ادخل الجنة. وذلك أنه قتل فوجبت له. فلما رأى الثواب **﴿قال يا ليت قومى يعلمون﴾** قال قتادة: لا تلقى المؤمن إلا ناصحًا لا تلقاه غاشًا. لما عاين ما عاين من كرامة الله تعالى: **﴿قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين﴾** تمنى -والله- أن يعلم قومه بما عاين من كرامة الله وما هجم عليه. وقال ابن عباس: نصح قومه فى حياته بقوله: **﴿يا قوم اتبعوا المرسلين﴾** وبعد مماته فى قوله: **﴿يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين﴾** رواه ابن أبى حاتم. وقال سفيان الثورى عن عاصم الأحول عن أبى مجلز **﴿بما غفر لى ربى وجعلنى من**

المكرمين﴾ بإيمانى بربى وتصديق المرسلين. ومقصوده: أنهم لو اطلعوا على ما حصل لى من الثواب والجزاء والنعيم المقيم لقادهم ذلك إلى اتباع الرسل. فرحمه الله ورضى عنه. فلقد كان حريصًا على هداية قومه. قال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى، حدثنا هشام بن عبيد الله، حدثنا ابن جابر هو محمد بن عبد الملك، يعنى ابن عمير قال: قال عروة بن مسعود الثقفى رضى الله عنه للنبى ﷺ: إبعثنى إلى قومى أدعوهم إلى الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «إنى أخاف أن يقتلوك» فقال: لو وجدونى نائمًا ما أيقظونى، فقال له رسول الله ﷺ: «انطلق» فانطلق فمرّ على اللات والعزى. فقال: لأصبحنك غدًا بما يسوءك، فغضبت ثقيف. فقال: يا معشر ثقيف إن اللات لا لات وإن العزى لا عزى. أسلموا تسلموا يا معشر الأحلاف. إن العزى لا عزى وإن اللات لا لات. أسلموا تسلموا. قال ذلك ثلاث مرات. فرماه رجل فأصاب أكحله. فقتله. فبلغ رسول الله ﷺ فقال: «هذا مثل كمثل صاحب يس» **﴿قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين﴾** وقال محمد بن إسحاق عن عبدالله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم أنه حدث عن كعب الأحبار أنه ذكر له حبيب بن زيد بن عاصم أخو بنى مازن بن النجار الذى كان مسيلمة الكذاب قطعه باليمامة حين جعل يسأله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجعل يقول له: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ فيقول: نعم. ثم يقول: أتشهد أنى رسول الله؟ فيقول: لا أسمع. فيقول له مسيلمة لعنه الله: أتسمع هذا ولا تسمع ذاك؟ فيقول: نعم. ثم يقول: أتشهد أنى رسول الله؟ فيقول: لا أسمع. فيقول مسيلمة لعنه الله: أتسمع هذا ولا تسمع ذاك؟ فيقول: نعم. فجعل يقطعه عضوًا عضوًا. كلما سأله لم يزده على ذلك حتى مات فى يديه. فقال كعب حين قيل له اسمه حبيب، وكان الله صاحب يس اسمه حبيب.

وقوله تبارك وتعالى **﴿وما أنزلنا على قومه من بعده[1] من جند من السماء وما كنا منزلين﴾** يخبر تعالى أنه انتقم من قومه بعد قتلهم إياه غضبًا

(١) لم يرسل الله أنبياء على قومه أى على اليهود لأن النبوة فيهم انقطعت بعيسى عليه السلام.

منه تبارك وتعالى عليهم، لأنهم كذبوا رسله وقتلوا وليه. ويذكر عز وجل أنه ما أنزل عليهم وما احتاج فى إهلاكه إياهم إلى إنزال جند من الملائكة عليهم بل الأمر كان أيسر من ذلك. قاله ابن مسعود فيما رواه ابن إسحاق عن بعض أصحابه أنه قال فى قوله تعالى: **﴿وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين﴾** أى ما كاثرناهم بالجموع، الأمر كان أيسر علينا من ذلك.

﴿إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون﴾ قال: فأهلك الله تعالى ذلك الملك وأهل أنطاكية فبادوا عن وجه الأرض، فلم يبق منهم باقية. وقيل: **﴿وما كنا منزلين﴾** أى وما كنا ننزل الملائكة على الأمم إذا أهلكناهم بل نبعث عليهم عذابًا يدمرهم، وقيل: المعنى فى قوله تعالى **﴿وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء﴾** أى من رسالة أخرى إليهم. قاله مجاهد وقتادة. قال قتادة: فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله **﴿إن كانت إلا صيحة واحدة[1] فإذا هم خامدون﴾** قال ابن جرير: والأول أصح لأن الرسالة لا تسمى جندًا. قال المفسرون: بعث الله تعالى إليهم جبريل عليه الصلاة والسلام فأخذ بعضادتى باب بلدهم ثم صاح فيهم صيحة: واحدة، فإذا هم خامدون عن آخرهم، لم يبق فيهم روح تتردد فى جسد.



وقد تقدم عن كثير من السلف: أن هذه القرية هى أنطاكية، وأن هؤلاء الثلاثة كانوا رسلاً من عند المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام كما نص عليه قتادة وغيره، وهو الذى لم يذكر عن واحد من متأخرى المفسرين غيره، وفى ذلك نظر من وجوه:

(أحدها) أن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل[2] الله عز وجل لا من جهة المسيح عليه السلام كما قال تعالى: **﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون﴾** إلى أن قالوا **﴿ربنا يعلم إنا**

(١) فى يوم الرب.

(٢) قول ابن كثير مردود بقوله تعالى: **﴿الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس﴾**.

إليكم لمرسلون. وما علينا إلا البلاغ المبين﴾ ولو كان هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنهم من عند المسيح عليه السلام والله تعالى أعلم، ثم لو كانوا رسل المسيح لما قالوا لهم: **﴿إن أنتم إلا بشر مثلنا﴾**

(الثانى) أن أهل أنطاكية آمنوا برسل المسيح إليهم. وكانوا أول مدينة آمنت بالمسيح[1]. ولهذا كانت عند النصارى إحدى المدائن الأربعة اللاتى فيهن بتاركة. وهن القدس لأنها بلد المسيح، وأنطاكية لأنها أول بلدة آمنت بالمسيح عن آخر أهلها، والإسكندرية لأن فيها اصطلحوا على اتخاذ البطاركة والمطارنة والأساقفة والقساوسة والشمامسة والرهابين، ثم رومية لأنها مدينة الملك قسطنطين الذى نصر دينهم ووطده، ولما ابتنى القسطنطينية نقلوا البطرك من رومية إليها. كما ذكره غير واحد ممن ذكر تواريخهم كسعيد بن بطريق وغيره من أهل الكتاب والمسلمين.

فإذا تقرر أن أنطاكية أول مدينة آمنت؛ فأهل هذه القرية ذكر الله تعالى أنهم كذبوا رسله، وأنه أهلكهم بصيحة واحدة أخمدتهم. والله أعلم.

(الثالث) أن قصة أنطاكية مع الحواريين أصحاب المسيح بعد نزول التوراة، وقد ذكر أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه وغير واحد من السلف: أن الله تبارك وتعالى بعد إنزاله التوراة، لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم[2]، بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين، ذكروه عند قوله تبارك وتعالى **﴿ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى﴾**.

فعلى هذا يتعين أن هذه القرية المذكورة فى القرآن قرية أخرى غير أنطاكية[3]، كما أطلق ذلك غير واحد من السلف أيضًا، أو تكون أنطاكية إن كان لفظها محفوظًا فى هذه القصة مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة. فإن هذه لم يعرف أنها أُهلكت لا فى الملة النصرانية ولا قبل ذلك.

---

(١) أنهم خرجوا منها للدعوة.

(٢) إنه أهلك الذين اعتدوا منهم فى يوم السبت.

(٣) إنهم كانوا من أنطاكية يرسلون رسلا يسمون برسل رسول الله مجازًا.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

فأما الحديث الذى رواه الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا. الحسين بن إسحاق التسترى حدثنا الحسين بن أبى السرى العسقلانى حدثنا حسين الأشقر حدثنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «السبق ثلاثة فالسابق إلى موسى عليه الصلاة والسلام يُوشَع[1] بن نون، والسابق إلى عيسى عليه الصلاة والسلام صاحب والسابق إلى محمد ﷺ على بن أبى طالب رضى الله عنه» فإنه حديث مُنكر لا يُعرف إلا من طريق حسين الأشقر. وهو شيعى متروك. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب» اهـ



الصحيح فى تفسير أصحاب القرية:

إنه يقول فى القرآن: ﴿**واضرب لهم**﴾ والضمير يعود إلى اليهود؛ لقوله: ﴿**لتنذر قوما**﴾ مثل ﴿**ما أُنذر آباؤهم**﴾ بأنبياء منهم. فكما أُنذروا بأنبياء منهم؛ ننذرهم بك؛ لأنك من غير جنسهم. ولا يمكن أن يكون الإنذار لبنى إسماعيل عليه السلام لأنه الإنذار يعقبه هلاك. والله قد جعل مكة حرما آمنا.

والمرسلون: هم رسل رسل عيسى عليه السلام كما فى قول النبى ﷺ عن معاذ بن جبل: «الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله...» والاثنان: هما برنابا وبولس. والثالث يوحنا كاتب الإنجيل. وقد أرسلهم الله بالإلهام إلى جماعات يهودية من اليهود لغرض: تبليغهم بدعوة المسيح عيسى عليه السلام وهى الاستعداد للدخول فى دين محمد ﷺ فإذا طلب اليهود أدلة على ذلك: يذكرونهم بالنبوءات المكتوبة فى التوراة عن النبى الأمى الآتى، ويفسرونها لهم تفسيرا يدل على محمد ﷺ فالنبوءات تشهد على صحة دعوة المسيح ودعوتهم. وقد رد اليهود بقولهم ﴿**ما أنتم إلا بشر مثلنا**﴾ أى أنتم يهود مثلنا ومن مصلحتكم ومصلحتنا إنكاره ﴿**وما أنزل الرحمن من شىء**﴾ فى التوراة

(١) فى التوراة يشوع.

يدل على محمد.

وكان المقاومون للرسل يشتغلون بالسحر. وبدل أن يقولوا لهم: أنتم سحرة مثلنا فيتجادلون فيه هل له تأثير أم لا؟ هل الله أمر به أم لم يأمر؟ قالوا لهم: أنتم تستعملون نوعا من السحر. وهو التطير. وهددوهم بالقتل رجما. لأن المخالف لأى حكم من أحكام التوراة يكون جزاؤه القتل وهم فى نظرهم مخالفون. وردوا عليهم: أيكون جزاؤنا الرجم ونحن ما خرجنا على أحكامها؛ فإننا ذكّرناكم بما فيها عن هذا النبى الآتى ﴿أئن ذكرتم﴾ تكون تهمتنا المخالفة، ويكون جزاؤنا الرجم؟

فلما حدثت مشاغبة بين طائفة آمنت بكلامهم، وبين طائفة لم تؤمن. أرسلوا إلى ملك المدينة؛ ليفصل فى هذا النزاع. فجاء من أقصى المدينة يسعى. وانضم إلى المؤمنين، ونصح اليهود بالانضمام إليهم.

ومما قاله لهم: ﴿ومالى لا أعبد الذى فطرنى﴾ على شريعة هذا النبى إذا جاء؟ أأتركه، وأتخذ من دونه سادة معلمون للتوراة؟ لا يصح هذا؛ لأن فى التوراة عن محمد ﷺ أنه يشفع فى المذنبين (إشعياء ٥٣) وهم لا يشفعون. والتفت إلى الرسل قائلا: ﴿إنى آمنت بربكم﴾ أى بسيدكم الذى تدعون إليه وهو النبى ﷺ ولو قدّر لكم أن تسمعونى حين يحضرنى الموت، والملائكة تقول لى: ادخل الجنة. لقلت ﴿يا ليت قومى﴾ بنى جنسى بنى إسرائيل ﴿يعلمون بما غفر لى ربى، وجعلنى من المكرمين﴾

وبين أن الله ما أنزل على اليهود من بعد هذا الملك الصالح ﴿من جند من السماء﴾ أى لا نبوة من بعد عيسى عليه السلام ﴿وما كنا منزلين﴾ لأن النبوة ستنتقل إلى بنى إسماعيل عليه السلام.

ثم تكلم عن هلاكهم فى يوم الرب بما هو مذكور فى سفر يوئيل. والاعتراض على هذا التفسير:

هو فى مغايرته بين القرية وبين المدينة. ويزول الاعتراض بقولنا: إن

الملك كان يملك على مدينة عظيمة مكونة من عدة قرى. ولما سمع بما حدث فى القرية التابعة للمدينة التى هى عاصمة ملكه؛ اتجه إلى القرية من مكان بعيد في المدينة كان يقيم فيه.

والقصة فى الإنجيل يفهم منها ذلك. فإن الثلاثة قد حضرهم الوالى «سرجيوس بولس» وهم يجادلون «عليم الساحر» وكان الساحر يطلب أن يُفسد الوالى عن الإيمان ثم فارقهم الثالث ورجع إلى أورشليم. وعند هذا الحد لم يرد فى الإنجيل ذكر التهديد بالرجم. وقد ورد بعد ذلك.

ورد: أن الاثنين دخلا مدينة «إيقونية» وبشرا بكلمة الله «فانشق جمهور المدينة. فكان بعضهم من اليهود، وبعضهم مع الرسولين. فلما حصل من الأمم واليهود مع رؤسائهم هجوم؛ ليبغوا عليهما، ويرجموهما؛ شعرا به؛ فهربا إلى مدينتى ليكأونية: لِستَرة ودربة وإلى الكورة المحيطة. **وكانا هناك يبشران»**

وورد: أن اليهود رجموا بولس، وجروه خارج المدينة.

وإن لم يزل الاعتراض بأن القرية تابعة للمدينة التى هى عاصمة البلاد؛ فإنه يتوجب القول بأن للقرية قصة، وللمدينة قصة؛ وذلك لأن التهديد بالرجم لم يرد فى القرية -بحسب نص الإنجيل-

والحق: أن فى الإنجيل تبديل وتغيير. فى هذا الموضع. وبيان ذلك: أن هذا الموضع من الإنجيل بشارة بمحمد ﷺ انظر إلى قوله: «**ثم أتى يهود من أنطاكية وإيقونية، وأقنعوا الجموع؛ فرجموا بولس، وجروه خارج المدينة، ظانين أنه قد مات. ولكن إذ أحاط به التلاميذ؛ قام ودخل المدينة. وفى الغد خرج مع برنابا إلى دَرْبَة؛ فبشرا فى تلك المدينة، وتلمذا كثيرين. ثم رجعا إلى لسترة وإيقونية وأنطاكية؛ يشدّدان أنفس التلاميذ ويعظانهم أن يثبتوا فى الإيمان، وأنه بضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت الله»**

المناقشة:

قوله «فبشرا فى تلك المدينة» بشّرا بمن؟ هل بمحمد ﷺ؟ هل بغفران الخطايا بدم المسيح على الصليب؟ إنهما بشرا باقتراب ملكوت الله. فمن هو صاحبه؟ وفى أى زمن يتأسس؟

إنجيل الدّيداكى:

وفى إنجيل الديداكى عن المبشرين المتجولين إذا دخلوا قرية واجتمعوا بالجماعات النصرانية التى فيها، أو أسسوا جماعة وجعلوا لها قُسا؛ أن لا يأخذوا أجرا.

وفى القرآن الكريم: ﴿**اتبعوا من لا يسئلكم أجرا**﴾

وفى الأصحاح الأربعين من سفر إشعياء أنهم يبشرون بالنبى الآتى الذى

---

(١) ففى الأصحاح الثالث من إنجيل لوقا:

«وفى السنة الخامسة عشرة من سلطنة طيباريوس قيصر إذ كان بيلاطس البنطى واليًا على اليهودية وهيرودس رئيس ربع على الجليل وفيلبس أخوه رئيس ربع على إيطورية وكورة تراخونيتس وليسانيوس رئيس ربع على الأبلية. فى أيام رئيس الكهنة حنان وقيافا كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا فى البرية. فجاء إلى جميع الكورة المحيطة بالأردن يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا. كما هو مكتوب فى سفر أقوال إشعياء النبى القائل صوت صارخ فى البرية أعدوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيمة. كل واد يمتلئ وكل جبل وأكمة ينخفض وتصير المعوجات مستقيمة والشعبات طرقًا سهلة. ويبصر كل بشر خلاص الله.

وكان يقول للجموع الذين خرجوا ليعتمدوا منه يا أولاد الأفاعى من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى. فاصنعوا أثمارًا تليق بالتوبة. ولا تبدئوا تقولون فى أنفسكم لنا إبراهيم أبًا. لأنى أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادًا لإبراهيم. والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر. فكل شجرة لا تصنع ثمرًا جيدًا تقطع وتلقى فى النار. وسأله الجموع قائلين فماذا نفعل. فأجاب وقال لهم من له ثوبان فليعط من ليس له ومن له طعام فليفعل هكذا. وجاء عشارون أيضًا ليعتمدوا فقالوا له يا معلم ماذا نفعل. فقال لهم لا تستوفوا أكثر مما فرض لكم. وسأله جنديون أيضًا قائلين وماذا نفعل نحن. فقال لهم لا تظلموا أحدًا ولا تشوا بأحد واكتفوا بعلائفكم.

وإذ كان الشعب ينتظر والجميع يفكرون فى قلوبهم عن يوحنا لعله المسيح أجاب يوحنا الجميع قائلاً أنا أعمدكم بماء ولكن يأتى من هو أقوى منى الذى لست أهلاً أن أحل سيور حذائه. هو سيعمدكم بالروح القدس ونار. الذى رفشه فى يده وسينقى بيدره ويجمع القمح إلى مخزنه. وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ. وبأشياء أخر كثيرة كان يعظ الشعب ويبشرهم» (لوقا٣).

وعدهم الله به بكلام صدر منه على لسان إشعياء. وكانوا يبشرون به بلقب «الكلمة» وفى إنجيل لوقا: «كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا[1]» وفى أصحاب القرية أنهما «تكلما بالكلمة».

النص الثالث:

وهو نص يبين أن «بولُس» ألغى حرمة السبت. وبإلغائه يكون المسيحيون مرتدين عن اليهودية:

«فلا يحكم عليكم أحد فى أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت. التى هى ظل الأمور العتيدة وأما الجسد فللمسيح. لا يخسركم أحد الجعالة راغبًا فى التواضع. وعبادة الملائكة متداخلاً فى ما لم ينظره منتفخًا باطلاً من قبل ذهنه الجسدى. وغير متمسك بالرأس الذى منه كل الجسد بمفاصل وربط متوازرًا ومقترنًا ينمو نموا من الله.

إذًا إن كنتم قد متم مع المسيح عن أركان العالم فلماذا كأنكم عائشون فى العالم تفرض عليكم فرائض. لا تمس ولا تذوق ولا تجس. التى هى جميعها للفناء فى الاستعمال. حسب وصايا وتعاليم الناس. التى لها حكاية حكمة بعبادة نافلة وتواضع وقهر الجسد ليس بقيمة ما من جهة إشباع البشرية» (كولوسى ٢).

ملاحظة:

رجم موسى عليه السلام الرجل الذى اعتدى على حرمة السبت. والمسيحيون اعتدوا على حرمته؛ فمن ينوب عن موسى فى تنفيذ الحكم عليهم؟ هو النبى الذى أتى خلفا له وهو محمد ﷺ المكتوب عنه فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية وفى الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا.



تم الكتاب ولله الحمد

الفهرس

فهـــرس الكتاب

الموضـوع	الصفحة